# كثرة الاستعمال علة لغوية


تأليف الدكتور

**حسن عبد العزيز حسن أبو العينين**

الأستاذ المساعد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بالمنصورة ــ قسم اللغويات

# إطلالة علي موضوع البحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي النبي العربي الأمين .

وبعد

فإن العربي حينما يستعمل الشاذ في الكلام يكون ثقيلاً في أول الأمر ، فإذا ما تردد علي لسانه كثيراً يصبح هذا الشاذ خفيفاً عن نظائره التي لم تستعمل كثيراً ، وبهذا تكون "كثرة الاستعمال علة لغوية" للتخفيف .

# كثرة الاستعمال علة لغوية

بقلم
**ا.د / حسن عبد العزيز حسن أبوالعينين**
الأستاذ المساعد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بالمنصورة ـــ قسم اللغويات

## تقديم

لله رب العالمين ، والصلاة والسلام علي النبي العربي الأمين ، الذي ختم الله به الرسالات ، وعلي آله وصحبه أجمعين.

وبعد

فهذا البحث يظهر ويوضح أساليب ومفردات في اللغة، كثر دورانها في اللسان العربي، وعلقت به ، فكانت في أول الأمر شاذة وثقيلة ، ولكن لما تناقلها اللسان العربي بكثرة وحفظها الجنان فجملها وشذبها، فأصبحت خفيفة بعد ثقل، سهلة بعد صعوبة ، وهذا مما يطلق عليه (كثرة الاستعمال) و(التغيير الشاذ لكثرته ودورانه علي اللسان) لأجل التخفيف ، فكثرة الاستعمال علة لغوية جاءت لتخفيف الأساليب والألفاظ و المفردات فكانت ذوقاً عربياً سما إلي آفاق واسعة في الفصاحة والبلاغة ، وما كل ذلك إلا ثمرة لترديد الألفاظ والمفردات علي اللسان العربي ، وفيه مقارنة عظيمة بين ما تردد علي اللسان وبين غيره مما لم يتردد ، فالأول جاء خفيفاً سهلاً إذا قورن بغيره مع احتفاظه بشذوذه .

ولقد توج هذا البحث بعبارات شيخ النحاة ( سيبويه ) وبذا يكون قد عظمت به الفائدة ، ودنا به الجني الطيب لمرتاديه ، ولم يسر هذا

البحث في ترتيبه سيرة كتب النحو في ترتيبها ، ولكن أراد الله – والله يفعل ما يريد – أن يوضع النظير إلي نظيره ، حتى يذكر به فيطلب وهذا ما جاء في خطتي للبحث :

**المقدمة : وفيها كثرة الاستعمال علة لغوية للتخفيف .**

١- معني كثرة الاستعمال والتغيير الذي يصحبه .

٢- أثر كثرة الدوران علي اللسان في ألفاظ اللغة وأساليبها .

٣- التعبير في معاني الألفاظ وفي الأساليب .

٤- ما يتعلق بالجملة من تغيير كثرة الاستعمال .

المؤلف

الدكتور

**حسن عبد العزيز حسن أبو العينين**

تحريراً في ١ / ٧ / ٢٠٠٦ م

## معني كثرة التردد : والتغيير الذي يصحبه

من المعروف أن الذي يجرى علي اللسان يكون ثقيلا،عرفه العرب وخبروه فغيروه بإخراجه عن حكم أمثاله التي لم تكثر عندهم، فلقد قدموا النظائر علي القياس في مثلها محتملين ثقلها،لأنها قليلة الاستعمال. فكثرة الاستعمال عند العرب تقدم علي القياس إذا تعارضا فإذا كان القياس يؤدي إلي شيء ما، ثم بلغك أو سمعت أن العرب قد نطقت فيه بشيء مخالف القياس فدع ما كنت عليه إلي ما هم عليه[1].

ولقد جاء عن العرب أشياء كثيرة في لسانهم قد شذت عن القياس، وقصدوا فيها التخفيف وهذا مما يسمي عندهم " التخفيف غير القياسي" "والتخفيف الشاذ" وهنا يقول شيخ النحاة سيبويه : "وأما الأفعال فلا يحذف منها شيء ؛ لأنها لا تذهب في الوصل في حال، وذلك "لا أقضي" و"هو يقضي" و"يغزو" و"يرمي"، إلا أنهم قالوا : "لا أدر"في الوقوف ، لأنه كثر في كلامهم فهو شاذ [2] .

يقصد – سيبويه أن العرب لا تحذف من الأفعال شيئاً لأن الوصل لا ينطبق عليها فإذ وقف حذف في "لا أدر" لأنه كثير في كلامهم فهو شاذ .

ولقد فهم ذلك ابن يعيش فقال – عن حذف الهمزة من "خذ" و "كل" و "مر" ولزم هذا الحذف لكثرة هذه الكلم ولذا جعله صاحب الكتاب – قصد بذلك الزمخشري – شاذا [3] .

ومما يزيد ذلك توضيحا للمقام ما جاء في كتاب "سيبويه" ويكفيك أن تنظر في عباراته وتقرأها جيدا حتى يريك ذلك كثيرا من

---

(١) أنظر الاقتراح في أصول النحو للسيوطي ١٨٩ وكتاب الخصائص لابن جني ج١ ص ٢٥١

(٢) الكتاب ج٤ ص ١٨٤ .

(٣) ابن يعيش ٩ / ١١٥

البيان الكافي والوافي بالمراد فقد جاء في الكتاب "العرب مما يغيرون الأكثر"[١] وجاء قوله: "وهم مما يغيرون الأكثر في كلامهم ويجسرون عليه[٢].

فلقد قصد سيبويه بكلمة "يغيرون" "مما" في كلامهم أن العرب تغير في كثير من الاستعمال من ثقل أو هي مستعدة للتغيير .

قول سيبويه : "وغيروا هذا ، لأن الشيء إذا كثر في كلامهم كان له نحو ليس لغيره مما هو مثله"[٣].

يفهم من كلام سيبويه "مما هو مثله"أن هذا التغير غير مقيس، وكثيرا ما صرح سيبويه ، بأن التغير لكثرة الاستعمال شاذ ، وغرضه أن يأتي الكلام سهلا علي اللسان .

وأنه لا يطرد ولا ينقاس في النظائر والأمثال التي لم تكثر، فنراه يقول : "في بعض عناوين الكتاب هذا باب ما كان شاذا مما خففوه علي ألسنتهم وليس بمطرد" [٤].

ثم يذكر بعد ذلك تحت هذا العنوان كماً كبيراً غيرته العرب، لأنه كثير الاستعمال ، فيقول – عن حذف النون في "يكن" وتسكين لام "لم أبَلْ" – وإنما فعلوا هذا بهذين حيث كثرا في كلامهم،وهذا من الشواذ، وليس مما يقاس عليه ويطرد"[٥].

يعني أن نظائر حذف النون في (يكن) وتسكين لام في (لم أبَلْ) لا يتغير ولا يحدث فيه حذف ، وإنما تغير هنا ، لأنه كثر تردده علي لسانهم فخف ومع هذا فهو شاذ غير مطرد .

---

(١) الكتاب ج٢ ص١٩٦ .
(٢) الكتاب ج٢ ص٤١٤ .
(٣) الكتاب ج٢ ص١٩٦ .
(٤) الكتاب ج٤ ص٤٨١ .
(٥) الكتاب ج٤ ص٤٠٥ .

وهذا علامة قوية علي أن العرب كان لها حس يدركون به القياس فيتركونه إلي الشاذ قصدوا من وراء ذلك إلي التخفيف لكثرة الاستعمال ويتركون ما قل في لسانهم بدون تخفيف كالقياس ولقد أدرك ذلك ابن جني فقال : "ويدلك علي أن الفصيح من العرب قد يتكلم باللغة غيرها أقوى في القياس عنده : ما حدثنا به أبو علي – رحمه الله –قال "عن أبي بكر عن أبي العباس[1] : إن عمارة بن عقيل كان يقرأ : "ولا الليل سابق النهار" [2] بالنصب يقصد نصب "النهار" مع ترك تنوين الوصف "سابق" قال أبو العباس : فقلت : ما أردت ؟ فقال أردت سابق النهار – أي : تنوين الوصف – قال أبوالعباس فقلت له هلا قلته؟ فقال: لو قلته لكان أوزان" أ.هـ[3] .

فلقد جاء النصب عن عمارة بن عقيل في تالي الوصف وحذف تنويه مخالفا القياس في مثله ، وهو تحريك التنوين بالكسر معقباً بأن القياس أوزن أي : أنه قوى في اللغة إلا أنه أثقل في اللسان فقد ترك القوى ، المطرد ، لأنه ثقيل وذهب إلي الشاذ الخفيف علي اللسان .

ولقد وضح ذلك بسهولة أن التميميين يهملون "ما" النافية الداخلة علي الأسماء ، وأن الحجازيين يعطونها إعمال "ليس" ولغة تميم أقوى في القياس ،لأن "ما" عند العرب مثل "هل" في عدم الاختصاص فهي تدخل علي الأفعال مثلها في ذلك دخولها علي الأسماء [4] .

---

(١) أبوبكر هو ابن السراج ، وأبو العباس هو المبرد .
(٢) يس ٤٠ وأنظر في هذه القراءة البحر المحيط لأبي حيان ج٧ ص٣٣٨ وذكرها عبد القاهر في دلائل الإعجاز ٢٤١ .
(٣) الخصائص لابن جني ج١ ص١١٧ .
(٤) المصدر السابق .

ومن هنا يظهر ويتضح أن لغة الحجازين أشمل وأيسر استعمالا ، وأوسع انتشارا عند العرب ويكفيك أن القرآن العظيم جاء ناطقا (بما) قال تعالي : ﴿ مَا هَذَا بَشَراً ﴾ [1] .

ومما سبق يجدر أن يعرف أن التغيير لكثرة الاستعمال لا يخرج عن دائرة الثقل ومع هذا فهو قد خف في لسان العرب فمثلا زيادة اللام بين منفي "لا" وبين (ما) أضيف إليه في مثل "لا أبا لك " أغنت عن تكرار "لا" .

## كثرة الاستعمال تدعو إلي التخفيف :

إن الألفاظ والأساليب قد تكثر علي اللسان العربي وهي غير مخففه وثقيلة فالذي كثر دورانه علي الألسنة وهو ثقيل تصرفت العرب فيه فغيرته وجعلته خفيفاً وسهلاً قياساً علي نظائره التي لم يتردد كثيراً علي لساتهم فظل ثقيلاً ، ويمكنك أن تلمس هذا في كلامهم حول هذه العلة فمثلا هم يقولون عن الأفعال "خذ" و "كل" و "مر" فنجد أن العرب التزموا حذف الهمزة في الفعلين الأولين "خذ" و"كل" دون الفعل الأخير "مر" فإن الحذف جاء في خذ وكل دون الإثبات لكثرة الاستعمال ، وأما الفعل الثالث وهو "مر" فلم يستعمل كثيرا فلم يكن فيه التزام الحذف ويتضح ذلك أكثر حينما يقولون – مثلا – أن أصل "لم أُبَلْ" "أبالي" فلما جاء الجازم حدث حذف الياء فصار "لم أبال" مثل "لم أمار" و "لم أساو" فكثر "لم أبال" دون غيره فجوزوا جزمه مرة ثانية وعومل مجزوما معاملة ما لم يجزم[2] فوضح أن اللفظ "لم أبال" دار أولا في لساتهم كثيراً ثم خففوه بعد فالدوران في اللسان جاء علة للتخفيف .

---

(١) أنظر ابن يعيش ج٩ ص١١٥ .

(٢) أنظر شرح الشافية للرضي ج٣ ص٢٣٥ .

والمعني : أن الأفعال التي تتردد كثيراً علي لسانهم تخفف دون غيرها فما فاق غيره من الدوران يخفف وما لم يفق يجوز تخفيفه .

يصح أن يقال: إن العرب قد تصورت أن اللفظة أو الجملة قد كثرت في كلامهم فوضعوها علي التخفيف وهنا يقول – العلامة السيوطي في الأشباه والنظائر – : "وقال ابن الدهان في "الغرة" : " ذهب الأخفش إلي أن ما غير لكثرة استعماله ، إنما تصورته العرب قبل وضعه وعلمت أنه لابد من استعماله ، فابتدأوا بتغييره[1] .

والذي أختاره هنا أن العرب استعملته كثيرا ولم يتصوروا استعماله ؛ لما مر من الأمثلة ، وسبب آخر أنه في أكثر صور التغيير لكثرة الاستعمال يجوز أن تعود إلي القياس والأصل ، فلو أن العرب تخيلوا ما كثر استعماله فوضعوه علي مقتضي ما يتطلبه كثرة الاستعمال ما صح لهم مراجعته أو العودة إلي الأصل ؛ لأنه لا أصل يرجع إليه حينئذ .

## قصره علي السماع :

يجب علي المتتبع للسان العربي أن يقف علي ما نطقه ولا يصح له أن يقيس علي ما نقله العرب في هذا المضمار ويترك النظائر في كلامهم التي لم تكثر علي لسانهم ولا يلحقها بغيرها فيخففها ، أو كثر ولم يغير للتخفيف فينطقه كما هو .

يقول إمام النحاة سيبويه : "وليس كل شيء يكثر في كلامهم يحمل علي الشاذ ، ولكنه يجرى علي بابه حتى تعلم أن العرب قد قالت غير ذلك " أ.هـ[2] .

كما أنه يقول : "واعلم أنه ليس كل حرف يظهر بعده الفعلّ يحذف فيه الفعلُ – يقصد أنه حذفوا تخفيفاً بعض الحروف مثل "إن

(١) الأشباه والنظائر للإمام السيوطي ج١ ص ٣٣٥ .
(٢) الكتاب ج٣ ص٥٠٨ .

خبرا فخبر" – ولكنك تُضمر بعد ما أضمرتْ فيه العربُ من الحروف والمواضع وتُظهرُ ما أظهروا وتُجرِى هذه الأشياءَ التي هي علي ما يستخفون بمنزلة ما يحذفون من نفس الكلام . ومما هو في الكلام علي ما أجْرَوْا ، فليس كلّ حرف يُحذف منه شيءٌ ويُثبتُ فيه نحو (يَكُ) و (يُكُنْ) " ولم أُبَلْ " و "أبَالِ"، لم يَحملهم ذلك علي أن يفعلوه بمثله ولا يحملهم إذا كانوا يُثبتون فيقولونَ في "مُر" "أو مُر"، أن يقولوا في (خُذْ): أوخُذْ، وفي "كُلْ" أو كُل " فقف علي هذه الأشياء حيث وقفوا ثم فسر أ . هـ [1].

## النحاة وكثرة الدوران :

لقد أجمع النحاة إجماعاً دقيقاً ، وبالغوا في هذا الإجماع علي قوة العلة في كثرة الدوران ، حتى أن سيبويه أفرد لها أبواباً كثيرة ومتعددة في كتابه ، فيقول في عنوان من حديثه : "هذا باب من الابتداء يُضمر فيه ما يُبني علي الابتداء[2] . ثم يحدثك في هذا الباب عن عبارات ثلاثة غيرتها كثرة الاستعمال هي : "لولا عبد الله لكان كذا وكذا" و"زعم الخليل – رحمه الله – أنهم أرادوا : إن كنت لا تفعل غيره فافعل كذا وكذا إمَّا لا" و"حينئذ الآن".

وكثيرا ما يقول : "والعرب مما يغيِّرون الأكثر في كلامهم عن نظائره" [3] " وهم مما يغيرون الأكثر في كلامهم ويَجسرون عليه"[4] ونشهد عنواناً آخر وهو: "هذا باب ما كان شاذا مما خففوا علي ألسنتهم وليس بمطرد"[5] كما أنك تجد شيخ النحاة سيبويه يتعرض

(١) الكتاب ج١ ص٢٦٥ ، ٢٦٦ .
(٢) الكتاب ج٢ ص ١٢٩ .
(٣) الكتاب ج٢ ص ١٩٦ .
(٤) الكتاب ج٤ ص ١١١ .
(٥) الكتاب ج٤ ص٤٨١ .

لشرح التغيير الذي يلحق الألفاظ بسبب كثرة الدوران فيقول: "وإنما أضمروا ما كان يقع مظهرا استخفافا؛ لأن المخاطب يعلم ما يعني فجرى بمنزلة المثل كما تقول "لا عليكَ"، وقد عَرَفَ المخاطبُ ما تعني، أنه لا بأس عليك، ولا ضَرَّ عليك ولكنه حذف لكثرة هذا في كلامهم، ولا يكون هذا في غير عليك" أ.هـ[1] .

ويقول أيضاً :"إذا كان غدا فاتني كأنه ذكر أمرا إما خصومة وإما صلحا فقال إذا كان غدا فاتني[2] يعني أنه قد حذف أشياء في هذه النصوص فخف الكلام ، لأن العرب استعملته كثيراً ، وهو ما يعبر عنه بكثرة الاستعمال ، ويعني إذا كان غدا من كذا وكذا إما شرا أو خيرا فاتني .

وجاء ابن يعيش فتتبع شيخه سيبويه شبرا بشر وقيراطا بقيراط وله في ذلك نصوص كثيرة [3] .

ونري ابن جني في كتابة الخصائص يذكر كما كبيرا مما غيرته العرب لعلة كثرة الدوران والاستعمال فجاء في "باب في تعارض السماع والقياس" ولأجل هذا الذي ذكرناه عندي ما كثر عنهم نحو "اجتوروا ، واعتونوا واهتوشوا ، ولم يأت عنهم من هذا التصحيح شيء في الياء ، ألا تراهم لا يقولون ابتيعوا ولا استيروا ، ولا نحو ذلك ، وإن كان في معني تبايعوا وتسايروا وعلي أنه قد جاء حرف واحد من الياء في هذا فلم يأت إلا معلا ، وهو قولهم استافوا في معني تسايفوا ، ولم يقولوا استيفوا لما ذكرنا من جفاء ترك قلب

(١) الكتاب ج١ ص ٢٢٤ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) أنظر ابن يعيش ج٩ ص١٠٨ ، ج٢ ص١١ ، ج٤ ص١٩ ، ج٨ ص٨٧ .

الياء ألفا في هذا الموضع الذي قد قويت فيه داعية القلب . وقد ذكرنا هذا في (كتابنا في شعر هذيل) بمقتضي الحال فيه أ.هـ[1].

وأنظر كيف يقول فيتضح لك المثال : "وإن شذ الشيء في الاستعمال وقوى في القياس كان استعمال ما كثر استعماله أولي وإن لم ينته قياسه إلي ما انتهي إليه استعماله .أ.هـ ويقول أيضا: "من ذلك اللغة التميمية في(ما)هي أقوى قياسا وإن كانت الحجازية أسير استعمالا ، وإنما كانت التميمية أقوى قياسا من حيث كانت عندهم "كهل" في دخولها علي الكلام مباشرة، ثم قال:"إلا أنك إذا استعملت أنت شيئاً من ذلك فالوجه أن تحمله علي ما كثر دوره، وهو اللغة الحجازية؛ ألا ترى أن القرآن بها نزل أ.هـ[2] .

وجاء السيوطي فتبع شيخه ابن جني فنقل عنه في الاقتراح كثيرا ، ولكنه توقف عند عبارة ابن جني: "إذا تعارض قوة القياس وكثرة الاستعمال قدم ما كثر استعماله، ولذلك قدمت اللغة الحجازية علي اللغة التميمية، لأن الأولي أكثر استعمالا"[3] .

ولم يقف الشيخ جلال الدين السيوطي عند هذا الحد ، بل أورد أمثلة كثيرة حيث وضح وشرح في كتابه الأشباه والنظائر تحت عنوان "الكاف" فأفرد كثرة التردد بحديث خاص بين فيه ووضح ما ورد عن اللسان العربي وكان متغيرا وخارجا عن القياس حيث سهل استعماله ، وهذا ما يعبر عنه بكثرة الدوران أو بكثرة الاستعمال [4] .

أمثلة ونماذج لكثرة الدوران : قال تحت عنوان (حرف الكاف) كثرة الدوران اعتمدت في كثير من أبواب العربية . منها حذف الخبر

(١) الخصائص ج١ ص ١٢٤ ، ١٢٥ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) الاقتراح ١٨٩ .
(٤) الأشباه والنظائر ج١ ص٣٣٢ .

بعد "لولا" قال ابن يعيش في شرح المفصل حذف خبر المبتدأ من قولك لولا زيد خرج عمرو لكثرة الاستعمال حتى رفض ظهوره ولم يجز استعماله .

وقال صاحب (البسيط) إنما اختصت (غدوة) بالنصب بعد "لدن" دون "بكرة" وغيرها لكثرة استعمال غدوة معها وكثرة الاستعمال يجوز معه ما لا يجوز مع غيره .

وقال ابن جني أصل "هلم" عند الخليل (ها) للتنبيه و "لم" أي لُمَّ بنائم كثر دورها فحذفت الألف تخفيفا .

وقال ابن يعيش في (شرح المفصل) قد توسعوا في الظروف بالتقديم والفصل وخصوها بذلك لكثرتها في الاستعمال ومما حذف لكثرة الاستعمال ياء المتكلم عند الإضافة والتنوين من هذا (زيد بن عمرو) أ.هـ[1] .

وجاء ابن عصفور الإشبيلي فجمع ألوانا متعددة وصنع لها عنوانا وهو (التغيير الشاذ) وهو ما يسمي بالتغيير لكثرة الدوران أو لكثرة الاستعمال .

كذلك جمع المحقق الرضي في شرح الشافية ألوانا كثيرة ترشدنا إلي كثرة الدوران ودوره في التغيير[2] ولقد أظهرت هذا الحشود الكبيرة من أقوال العلماء في كثرة الدوران أهمية هذا الباب وإنه لجدير بأن يفرد له كتاب يحدث عن كثرة الدوران [3] .

---

(١) الأشباه والنظائر للسيوطي ج١ ص٣٣١ .
(٢) الممتع في التصريف ٦٥٥ ، ٦٩١ ، ٧١٧ .
(٣) شرح الشافية ج٣ ص٣٣٥ .

## أثر كثرة الدوران في ألفاظ اللغة

كثرة الدوران الذي طرأ علي اللغة العربية له أثر عظيم في تغيير الألفاظ والأساليب ، ومعاني الكلمات وهنا نتعرف إلي كل هذا ويظهر ذلك فيما يلي،لأني جمعت فيه صورا متعددة لهذا التغيير .

**الأول** : التغيير في معاني الألفاظ وذلك نابع من كثرة الدوران وهو دورد على اللسان العربي ويظهر ذلك جليا فيما سيأتي .

**الثاني** : التغيير في أساليب اللغة العربية ويتضح هذا التغيير في ناحيتين .

**الأولي** : التغير في عوامل الجمل .

**والأخرى** : ما حدث لبعض أجزاء الجمل التي استعملت كثيرا ونتحدث فيهما فيما سيأتي :

**الثالث** : تغيير ألفاظ اللغة ويشمل التغيير في حركاتها بناء وإعرابا وسيأتي أيضاً .

## التغيير في معاني بعض الألفاظ الناشئة عن كثرة الدوران

التغيير في معني بعض الألفاظ يوضح لك الأثر العظيم لكثرة الدوران حيث إن هذا الأثر يتخطى مادة اللغة العربية وصيغها إلي معاني كلماتها وما تضمنته فتغير الألفاظ وتجعله يدل علي معاني جديدة ويلبس ثوبا جديدا من المعاني ، لأنه يستند علي قوة القرينة التي تحفظ السامع وتجعله غير متحير حيث يدور اللفظ في اللسان العربي وإليك أمثلة لهذا الأثر وهو كثرة الدوران .

أ- الكاف التي تأتي وتحمل معني المخاطب والمخاطبة لمذكره ومؤنثة وتكون للنصب أو الجر ، وحيث كان الخطاب يدور كثيرا في لغة العرب ويكثر ، فقد ترتب علي ذلك الدوران أنه قد خلع ثوب الاسمية عنه في بعض المواضع ، وقد قصر علي الخطاب وحده ويظهر ذلك جليا في الكاف التي تلحق الأسماء التي للإشارة نحو "ذلك" و "تلك" ويستدل علي ذلك بأنها لو كانت اسما لكانت في محل جر بالإضافة وأسماء الإشارة لا تضاف[1] .

وكذا الكاف التي تصل بالضمير مثل "إياكم" إياك علي الراجح عند النحاة[2].

وكذا الكاف التي تلحق بعد أسماء الأفعال مثل"حيهلك "و(رويدك) والتي تأتي بعد (أرأيت) التي بمعني أخبرني(أرأيتك) زيدا ما صنع ؟

ب- (علي) التي تدل علي الاستعلاء حقيقة، وتكون للجر مثل (الطائر علي الشجرة) أو تدل علي الاستعلاء المجازى مثل ( عليَّ دين ) بقول الرضي – رحمة الله – وكذا قوله تعالي: ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً﴾[3] .

---

(١) أنظر التصريح ج١ ص١٢٨ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) مريم ٧١ .

تعالي الله عن استعلاء شيء علية ولكنه إذا صار الشيء مشهوراً في الاستعمال في شيء لم يراع أصل معناه ، ومنه (توكلت علي الله) كأنك تحمل ثقلك عليه ، ثم صار بمعني "وثقت به" ، حتى استعمل في البارئ تعالي نحو " توكلت علي الله " "واعتمدت عليه".

جـ- "هل" إذا كثر استعمال (هل) في باب الاستفهام تخرج عن أصلها وهو طلب التصديق إلي أن تكون بمعني (قد) مع الفعل نحو قوله تعالي:﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ ﴾(١) وقد وافق علي ذلك الإمام الرضي وهو تفسير كبار المفسرين كابن عباس (ﷺ) ورأى ذلك الفراء والمبرد (٢) .

د- " لكن" الساكنة النون الخفيفة وضعا وليست المخففة من الثقيلة العاطفة تفيد معني الاستدراك؛ وقد تجرد عن العطف إذا دخلت علي جملة كقول الشاعر زهير :

إن ابن ورقاء لا تخشى بوادره ∴ لكن وقائعه في الحرب تنتظر(٣)

وكذلك إذا سبقت بالواو.نحو قوله تعالي:﴿وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ﴾(٤).

**هـ- القسم :**

من الأساليب التي كثر دورانها عند العرب وتبع ذلك تغيير معانيها .

١- لام الجر هذه اللام تجئ بمعني الواو وتكون مختصة بلفظ الجلالة، في الإقسام علي الأمور العظيمة، مثال ذلك "لله لا يؤخر الله الأجل".

---

(١) الإنسان ١ .
(٢) أنظر المغني ج٢ ص٢٩ .
(٣) أنظر التصريح ج٢ ص١٤٧ .
(٤) الأحزاب ٤٠ .

٢- "من" وتكون حرف جر مكسور الميم في الغالب ، وهذه تأتي قبل لفظ "ربي" مضمومة الميم كثيراً ، نحو " من ربي لأجتهدن " .

وتكون حينئذ بمعني الواو فتضم ميمها وقد تغير معناها وتخرج عن بابها وهو أن يجر الظواهر كلها، والضمائر آتيه كلها من كثرتها في اللغة العربي[١] .

٣- إن الزمخشري رحمة الله – يري في مثل قوله تعالي : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴾[٢] ونحو ذلك مما تكرر فيه الواو بعد واو القسم ، أن الواو صارت عوضا عن حرف القسم وفعله معا ، لأن الواو قد كثر دورانها في القسم ولم يستعمل معه فعل القسم فصار كأنه عوض عن الفعل ، ودالا علي القسم [٣]وغير الزمخشري يري أن الواو المكررة تكون للعطف لا للقسم ، لأنها لو كانت للقسم لكان هنا ثلاثة أقسام وهذه الأقسام تحتاج إلي ثلاثة أجوبة ، فإن قلنا ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴾ جواب واحد وحذف الأخرين تكون – حينئذ – خلاف الأصل ، فجعل الواو للعطف توحيد للمقسم به فيحتاج جوابا واحدا ، فورد عليهم لزوم العطف علي معمولي عاملين ، لأن النهار عطف علي الليل ، وإذا تحلى عطف علي "إذا يغشي" ، والليل معمول للواو " و" إذا يغشي معمول لفعل القسم المقدر [٤] .

---

(١) أنظر شرح الكافية للرضي ج٢ ص٣٣٤ .
(٢) الليل ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ .
(٣) أنظر الكشاف ج٤ ص٢٥٨ .
(٤) شرح الطافية للرضي ج٢ ص٣٣٧ .

**ويرجح كلام الزمخشري علي غيره .**

و- " أو" في أصل الوضع لأحد شيئين أو الأشياء، وقد ورد عن العرب "جالس الحسن أو ابن سيرين" كأنه قال جالس هذا النوع من الناس، وبمجالسة بعضهم يحدث تنفيذ هذا الأمر لأن "أو" تقتضي أحد الشيئين، ولك أن تجالسهما معا للقرينة لأنه قد علم أنه مرغوب في مجالسة"الحسن"لأن مجالسته[1] فيها النفع الكثير،وهذا المعني قد وجد في مجالسة "ابن سيرين" فلما كانت "أو" هنا بمعني الواو التي تكون للشيئين معا لا أحدهما تتحول من ذلك إلي غيره من كلام العرب فأجروها مجرى الواو في مواضع، وهذه المواضع تكون خالية من "الإباحة" التي في المثال السابق يظهر ذلك واضحا في شعر أبي ذئيب الهزلي:

**وكان سيان ألا يسرحوا نعما ∴ أو يسرحوه بها واغبرت السوح[2]**

وفي البيت :أن "أو" علي إرادة الشيئين معا ،والموضع للواو ، لأنك تقول ( سيان ألا يسرحوا نعما ويسرحوه ، وهنا يقول الشيخ العلامة الرضي: "ولا يستنكر عوض ضمير الاثنين إلي المعطوف "بأو" مع المعطوف عليه، وإن كان المراد أحدهما ، لأنه لما استعمل "أو" في الإباحة كثيرا فجاز الجمع بين الأمرين نحو "جالس الحسن أو ابن سيرين صار كالواو[3] .

ويقول الصبان: "وما ذكره البعض وأقره أن قوله -- يريد قول ابن مالك في "التسهيل" إن أو تعاقب الواو في الإباحة كثيرا - يوهم أن "أو" في الإباحة لا تعاقب الواو ، وليس كذلك ، فكان الأولي أن يقول تعاقب الواو في الإباحة لزوما [4] .

---

(١) شرح المفصل لابن يعيش ج٨ ص١٠٠ .
(٢) أنظر ابن يعيش ج٧ص٨٦وشرح الكافيةج١ص٣٢٧والخصائص ج١ ص٣٤٨ والمغني ج١ ص٦١ ، إعرابه ج٥ ص٣٤ .
(٣) شرح الكافية ج١ ص ٣٢٧ .
(٤) حاشية الصبان ج٣ ص ١٠٨ .

**ويذكر ابن مالك في ألفيتـه:أن(أو)تعاقب الواو في غير الإباحـة إذا لم يكن ليس ، وذكر له الشيخ الأشموني شعر حميد بن ثور .**

**قوم إذا سمعوا الصريخ رأيتهم ما بين ملجم مهره، أو سافع(١)**

**وتكون القرينة في البيت "بين" التي تقتضي أن الأصل ما بـين ملجم مهره وسافع كما أن قول أمرئ القيس ينطبق عليه وهو :**

**فظل طهاة اللحم ما بـين منضج ∴ صفيف شواء أو قد يـر معجـل (٢)**

**والأصل و "قدير" .**

**ز-بعض أسماء الأفعال تكون في الأصل ظرفا مضافا إلي ضمير المخاطب نحو(عندك زيدا) و(دونك الكتاب)و(لديك عليا) أصل الأولي: عندك زيد فخذه، والثانية: ودونك الكتاب فخذه، والثالثة: ولديك علي فخذه علىأن يرفع ما بعد الطرف فيها كلها علىأنه يعرب مبتدأ والظـرف هو الخبر، فالأصل أنها جملتان الأولي أسمية والثانية فعلية أقتصـر منهما علي الظرف لكثرة تردده علي اللسان حتى صار بمعني"خذ"(٣).**

**فترى أن هذه الظروف قد تحولت من الدلالة علي المكان إلي معني الفعل ، وذلك لكثرة دورانها أو ترددها علي اللسان مع هذا الفعل .**

**ح- إذا عدنا إلي الاستعمال العربي نجد أنه يعبر – في الأصل – عن المفرد بالمفرد وعن المثني بالمثني وعن الجمع بـالجمع لكـن العرب تصرفوا في هذا الأصل في الموضع الذي كان في الجسم منـه عضو واحد لا ينفصل نحو "الرأس" و "القلب" و "الظهر" و "اللسـان" أنه إذا ضمت هذه الأعضاء إلي غيرها بالإضافة إلي متضمنها جـاز في المضاف الذي هو مثني العضو ثلاثة أوجه .**

**١- التثنية وهو الأصل ويكرهونها لاجتماع اثنين في أسم واحد نحو "رأساهما" و "قلباهما" .**

---

(١) أنظر المغني ج١ ص٦١ والتصريح ج٢ ص١٤٦ والأشـموني ج٣ ص١٠٧ .

(٢) أنظر ديوانه١٥٦ والمغني ج٢ص٨٨ والأشموني ج٣ ص١٠٧ .

(٣) أنظر ابن يعيش ج٧ ص٢٠ .

٢- الجمع وهو الأكثر "قلوبكما" و "رؤوسنا" وعليه قوله تعالي : ﴿ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ (١) .

٣- الإفراد وهو فوق التثنية في الاستعمال نحو وجه الرجلين و" لسان المحمدين" .

وبعد ذلك نرى أنه قد عبروا بالجمع أو المفرد وهم يريدون المثني حيث لا لبس وانظر هنا كيف قالوا إن التثنية جمع في المعني والإضافة المعنوية هنا كالإضافة اللفظية مثل "ضربت من الزيدين الظهور" و "قطعت من الكبشين الرؤوس" بمعني الظهرين والرأسين.

فههنا: قد عبر العرب عن المثني بالجمع والمفرد لكثرة التردد علي اللسان وكراهية اجتماع تثنيتين في الإضافة وعدم اللبس وكان ذلك حسنا لأمن اللبس بقول الشيخ الرضي – رحمة الله – " ثم لفظ الجمع أولي من لفظ الإفراد وذلك لكراهته في الإضافة اللفظية الكثيرة الاستعمال اجتماع مثنين مع اتصالهما لفظا ومعني أما لفظا بالإضافة، وأما معني فلأن الغرض: أن المضاف جزء المضاف إليه مع عدم اللبس يترك التثنية ثم حملت المعنوية علي اللفظية " (٢) .

**الثاني**:التغير في أساليب اللغة العربية لكثرة الدوران علي اللسان .

حينما تكثر الجمل وتستعمل وتردد كثيرا علي اللسان تصحبها تغيرات شتي فتارة يعترى العوامل الداخلة علي الجمل من الخروج علي القياس، ولا يعترى هذا الخروج الجمل التي لم تستعمل كثيرا عندهم .

وأخرى تعترى بعض أجزاء الجمل تغيير بحذف أو تسامح في وضع هذا الجزء من الجملة ، وقد يزاد علي الجملة ما ليس فيها

(١) التحريم ٤ .
(٢) شرح الكافية ج٢ ص١٧٦ .

وفيما يلي نعرض جملا عن العرب ترددت علي لسانهم وكثرت عندهم في الاستعمال فغيروها تغيرا خارجا عن القياس الموجود في جمل لم تكرر عندهم في الاستعمال فعلم أن التغير الذي يصيب هذه الجمل هو تغير خارج عن قياس نظائرها .

**أ- التغير في عوامل الجمل لكثرة الاستعمال :**

١- الإضمار وجوبا في العامل "أن" الناصبة للمضارع بعد "حتى" و "اللام" و "أو" و "الفاء" نحو "اقرأ حتى تستفيد" ما كنت لأفشي لك سرا" "أجتهد فنكرمك" "أطيع الله أو يغفر لي" .

وبيان ذلك : أن المضارع يستعمل كثيرا مع هذه الأحرف وهذه الأحرف بمثابة التعويض من "أن" .

**يقول ابن يعيش** : "وما احتج به الكوفيون أنهم قالوا : لو كانت اللام الداخلة الخافضة لجاز أن يقول (أمرتك بتكرم) علي معني : (أمرتك بأن تكرم) .

**والجواب** : أن حروف الجر لا تساوى في ذلك، لأن اللام قد تدخل علي المصادر التي هي أغراض الفاعلين في أفعالهم ، وهي شاملة، يجوز أن يسأل بها عن كل فعل ، فيقال لم فعلت؟ فيقال: كذا، لأن لكل فاعل عرضا في فعله وباللام يخبر عن جميع ذلك و"حتى" و"كي" في معناها فكأنها دخلت علي "أن" والفعل لأنهما مصدران ، لإفادة أن ذلك الغرض من إيقاع الفعل المتقدم ثم حذفت "أن" تخفيفا ، فصارت هذه الحروف منها ، ولذلك لا يجوز ظهور "أن" وليس ذلك بأول ما حذف لكثرة الدوران[1].

وبذلك يفيدنا ابن يعيش أن اللام و"حتى" و"كي" أكثر حروف الجر استعمالا في باب التعليل لأعراض الأفعال فكانت كثرتها في الدوران سببا في التخفيف بحذف "أن" وجوبا أو لزوما .

---

(١) ابن يعيش ج٧ ص٢٠ .

## ٢- "ما" التميمية والحجازية :

الحجازيون يجرون "ما" مجرى ليس في بعض المواضع فيرفعون بها الاسم وينصبون الخبر وأما التميميون فيجرونها مجرى "أما" و "هل" فلا يعملونها علي الأصل والقياس .

**يقول سيبويه :** " هذا باب ما جرى مجرى "ليس" في بعض المواضع بلغة أهل الحجاز ثم يصير إلي أصله .

وذلك الحرف "ما" تقول : "ما عبد الله أخاك" و "ما زيد منطلقا" و أما بنو تميم فيجرونها مجرى "أما" و "هل" أي لا يعملونها في شيء وهي القياس ، لأنه ليس بفعل ، وليس "ما" كـ " ليس " ولا يكون فيها إضمار،ومثل ذلك قوله عز وجل: ﴿ مَا هَذَا بَشَرًا ﴾[1] في لغة أهل الحجاز ، وبنوتميم يرفعونها إلا من درى كيف هي في المصحف فإذا قلت : "ما منطلق عبد الله" أو "ما مسيء من أعتب" رفعت ولا يجوز أن يكون – مقدما – مثله مؤخرا .

وتقول : (ما زيد إلا منطلق) تستوي فيه اللغتان ؛ لم تقو "ما" حيث نقضت معني "ليس" كما لم تقو حيث قدمت الخبر [2] .

فانظر كيف كانت "ما" قوية في القياس حينما تهمل ولا تعمل ، وأن الحجازين يعملونها حملا علي "ليس" وأن بني تميم يقيسونها علي "هل" في كونها لم تختص بالدخول علي الجمل الاسمية والفعلية، ولو نظرنا إلي لغة أهل الحجاز لوجدناها أيسر استعمالا وأكثر انتشارا؛ لأن القرآن الكريم جاء بها في موطن الفصاحة ، وأنه إذا ما اختل شرط من شروط عملها حيث تقدم خبرها علي اسمها أو كان

---

(١) يوسف ٣١ .
(٢) الكتاب ج١ ص٥٧ ، ٥٨ .

نفيهما منتقضا "إلا" توجهنا بها غلي لغة بني تميم[1] فكثرة الدوران توطنت في لغة الحجازين المنتشرة مما ترتب علي ذلك التغيير والخروج علي الأصل .

### ٣ـ كان المحذوفة مع اسمها :

يجوز أن يحذف العرب "كان" مع اسمها وذلك بعد "أن" و "لو" وذلك كثير عندهم إذا وقع اسمها ضميرا للحاضر أو الغائب نحو "اطلبوا العلم ولو بالصين" وقول العرب "ادفع الشر ولو أصبعا" أي: ولو كان الدفع أصبعا وكذا في المثال الأول ولو كان العلم بالصين : وقول العرب : "لأرتحلن عن فارسا وإن راجلا" أي إن كنت فارسا وإن كنت راجلا ، ومن أمثلة ذلك ما ورد في كتاب سيبويه : "الناس مجزيون بأعمالهم إن خيرا فخير وإن شرا فشر" والمرء مقتول بما قتل به إن خنجرا فخنجر ، وإن سيفا فسيف" ، يقول رحمه الله وإن شئت أظهرت الفعل ، فقلت إن كان خنجرا وإن كان سيفا[2] ويجوز أن ترفع علي تقدير إن كان في عملهم خير وإن كان في يده سيف ، ولا يكون المرفوع فاعلا بتقدير كان التامة ؟

وهنا يقول الشيخ الرضي – رحمه الله – "فإن قلت فقدر للرفع " كان" التامة .

قلت بضعف لقلة استعمالها، ولا يحذف إلا كثير الاستعمال للتخفيف ولكون الشهرة دالة علي المحذوف"[3] .

فالاستعمال الكثير في "كان" الناقصة وتوسيعهم مع أمهات الأبواب نحو "إن"؛ لأنها أم الأدوات الجازمة و "لو" أم الأدوات غير الجازمة جعلها تتغير بالحذف،وهذا هو التغير بالحذف لكثرة الدوران.

---

(١) الخصائص لابن جني ج١ ص١٢٥ .
(٢) الكتاب ج٢ ص٥٨ .
(٣) شرح الكافية ج١ ص٢٥٣ .

٤ـ تكثر "كان" بعد ليت نحو قوله تعالى: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ﴾ (١) .

وقوله سبحانه :﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ (٢) ولهذا أجاز الكسائي نحو" ليت زيدا قائما" فتأتي بالمنصوبين بعد "ليت" وهو "قائما"خبر كان(٣) المحذوفة ، والبصريون يرون أن ثاني المنصوبين حال ، ويرى الفراء أنه منصوب بليت فهي تنصب الاسمين معا ، لأن فيها معني أتمني (٤) .

٥- العرب ترفض الأصل في التحذير وهنا يقول سيبويه : - رحمه الله - "وحذفوا الفعل من "إياك" لكثرة استعمالهم إياه في الكلام فصار بدلا من الفعل ، وحذفوا كحذفهم "حينئذ" الآن ، فكأنه قال أحذر الأسد" أ.هـ(٥) .

فنراهم يقولون في التحذير "إياك" ونحوه مثل ضمائر الخطاب المنصوبة المنفصلة فحينئذ يكون "إياك" ونحوه منصوبا بفعل مضمر، علي تقدير "إياك" نحو أو إياك باعد فيحذفون الفعل ويكتفون "بإياك" عنه ؛ لأن الحال تدل عليه وتظهر معناه ، وإنما جاز لكثرة دوره في أسلوب التحذير ، فأصبح ظهور العامل من الأصل المرفوض ، لأن الأصل - في التحذير - ذكر ، الفعل وحذف للاكتفاء بلفظ المحذر "إياك" الذي صار كالبدل من الفعل وذلك لكثرة الاستعمال أو الدوران(٦) .

---

(١) النساء ٧٣ .
(٢) النبأ ٤٠ .
(٣) الكتاب ج١ ص٢٧٤ .
(٤) أنظر ابن يعيش ج٤ ص٨٤ .
(٥) الكتاب ج١ ص٢٧٤ .
(٦) أنظر شرح الكافية للرضي ج١ ص١٨٢ .

## آراء ابن الحاجب والعلامة الرضي في التحذير !

يرى ابن الحاجب – رحمه الله – أن التحذير:"إياك والأسد"الأصل فيه "اتقك" ويدلل علي ذلك: أن العرب لا يجمعون بين ضمير الفاعل والمفعول لواحد إذا كانا متصلين جاءوا بالنفس ويضيفونها إلي الكاف فيقولون"اتق نفسك" ثم يحذفون الفعل؛ لكثرة الدوران،ويحذفون النفس؛ لأنه غير محتاجين إليها وبعد ذلك تعود الكاف ويصير الضمير منفصلا ، ولا يجوز أن يكون متصلا ؛ لأن عامله مقدر .

فابن الحاجب يجعل علة حذف الفعل في التحذير شيئين : كثرة الاستعمال وكذلك عدم الجمع بين ضميري فاعل ومفعول لواحد مع الاتصال فالعلة هنا مركبة .

ويرى العلامة الرضي أن الأحسن والأفضل رأي ابن يعيش وهو مطابق لظاهر كلام سيبويه وقد مر يقول الرضي – رحمه الله – وأرى أن هذا الذي ارتكبه – يريد ابن الحاجب تطويل مستغني عنه ، والأولي أن يقال هو بتقدير "إياك باعد" أ.هـ[1] .

وأرى أن المختار هنا أن التخفيف جاء من جهة حذف الفعل وذلك لكثرة الدوران وأن لزومه في "إياك" وما جرى مَجراها ؛ لأنها كثيرة في التردد فصار "إياك" بدلا من التلفظ بالفعل .

### ٦ـ الفاعل المضمر في " كان" :

وإليك نص سيبويه في ذلك .

قال سيبويه : "تقول إذا كان غد فاتني وإذا كان يوم الجمعة فألقني فالفعل "لغد" و "ليوم" كقولك "إذا جاء غد فاتني" وإن شئت قلت : "إذا كان غد فاتني ، وهي لغة تميم ، والمعني :أنه لقي رجلا ، فقال له : إذا كان ما نحن عليه من السلامة ، أو كان ما نحن عليه من البلاء في غد فاتني، ولكنهم اضمروا استخفافا لكثرة "كان"؛ لأنه

---

(١) المصدر السابق .

الأصل لما مضى ولما سيبقي ، فإن قلت : "إذا كان الليل فاتني" يقصد بنصب "الليل" لم يجز ذلك[1] .

بيان كلام سيبويه – رحمه الله – العرب يقولون: "إذا كان غدٌ" "وإذا كان يوم الجمعة" و"كان" هنا تامة و"غد" و"يوم الجمعة" فاعلان بكان ، وأن بني تميم يقولون "إذا كان غدا" بنصب الغد علي الظرفية وضمير الفاعل عائد علي ما دل عليه الحال، أي إذا كان ما نحن عليه من السلامة أو البلاء في غد، وصار تفسير الحال للضمير كتفسير المرجع المتقدم علي الضمير سواء وأن ذلك الإضمار يكون عندهم في حال استعمال "غد" مع كان لكثرة دورها وكثرة كان ويجوّز الشيخ خالد "إذا كان غداً أن تكون "كان" ناقصة،واسمها ضمير مستتر و "غدا" خبرها ، ولكن لا يتم المعني إلا بتقدير "إذا كان اليوم غدا" ولا معني لهذا ، أو يكون "غدا" متعلقا بمحذوف خبر وهنا يؤول المعني إلي المعني الذي فسره سيبويه:وهو إذا كان ما نحن عليه في غد[2].

**٧ـ ليس كل فعل يكون ناصبا الأمكنة الخاصة علي الظرفية :**

للأمكنة الخاصة أسماء نحو "مكة" و "الدار" والمسجد ولا يتعدى إليها الفعل بنفسه بل يتعدى إليها بحرف الجر فتقول "صليت في مكة" (ووقفت في الدار)، "وقمت في المسجد"؛ لأن الفعل لا يتعدى إليها بنفسه، بل يتعدى بحرف الجر فالفعل لا يدل علي أنه في مكان خاص، وهنا يقول الإمام الرضي: "الفعل لا يدل علي المكان المبهم أصلا، لأن المقصود من دلالة اللفظ علي المعني الدلالة الوضعية لا العقلية، ودلالة الفعل علي المكان عقلية لا وضعية، ومع هذا فهو يدل علي مبهم المكان"[3] .

---

(١) الكتاب ج١ ص٢٢٤ .
(٢) انظر التصريح ج١ ص٢٧٢ .
(٣) شرح الكافية ج١ ص١٨٦ .

وقد سُمع عن العرب "دخلت البيتَ" ونزلت الغرفةَ"، و"ذهبت الشامَ" أما دخلت فقال قوم: إنه غير متعد؛ لأن مصدره علي "الفُعول" فنقيضه "خرجت" اللازم و"عبرت" وهما غير متعديين كذلك ، وإنما نصب المكان المختص الذي وقع بعده علي تقدير حرف الجر في المحذوف للتخفيف لكثرة التردد ودورانه في الكلام .

أما "ذهبت" فهو لازم اتفاقا، وأن الحرف فيه محذوف شذوذا في المثال المأثور؛ لكثرة دورانه في الكلام ، "فالشام" ظرف متفق عليه حذف منه الحرف "في" ؛ لكثرة دورانه في الكلام ومثل "نزل" و "ذهب" و"سكن" يتعدى بالحرف وبنفسه [1] .

والمختار في "دَخَل" اللزوم مثل أخواته "سَكَن" و"ذَهَب" و"نَزَل"؛ لأن غير الأمكنة إذا ذكر بعد دخل يكون لازما كأن تقول (دخلت في مذهب فلان) (ودخلت في الأمر) .

**والخلاصة** :- أن الأفعال هذه كثرت في كلام العرب فجاءت ناصبة كل مكان دخلت عليه علي الظرفية سواء كان مبهما أو مختصا فخففت مع الأماكن المختصة بحذف الحرف "في" شذوذا فيكون هذا التخفيف لكثرة دورانه في الكلام العربي وغير هذه الأفعال لا تأتي بعده الأمكنة الخاصة بغير "في" إلا أن يكون مفعولا بها .

**٨ـ المفعول له : الأصل فيه الجر بحرف تعليل :**

العلة التي في المفعول له تجعله مجرورا باللام ؛ لأن اللام معناها العلة نحو "استذكرت لأخذ الجائزة" و "مشيت لأقرب من المدينة" أي الغرض من المذاكرة أخذ الجائزة والغرض من المشي الاقتراب من المدينة ، فتعدى الفعل اللازم إلي الغرض والعلة .

وقد تحذف هذه اللام فتنصب الغرض هذا نحو "فعلت ذلك ابتغاءَ وجه الله" وأصله لابتغاء وجه الله .

---

(١) انظر شرح المفصل لابن يعيش ج٢ ص٤٤ .

وعلي ذلك نجد النحاة يشترطون لنصب العلة أن تكون فعلا لفاعل الفعل المعلل ومقارنا له في الوجود ومصدرا[1] .

وابن يعيش يرى أن المفعول له قد نصب مع هذه الشروط من جهة أن الفعل لما تضمن المفعول له ودل عليه وكان موجودا بوجوده أشبه المصدر الذي يكون من لفظ الفعل[2] .

وهنا يقول العلامة الرضي: "وإنما شرط لجواز حذف اللام الشرطان المذكوران؛ لأن علة الأفعال كثيرا ما تجيء جامعة للشرطين، فصارت مع الشرطين ظاهرة مشهورة في العلية. والفرض أن يكون هناك ما يدل علي اللام المقدرة المفيدة للعلية وحصول الشرطين يدل عليها.أ.هـ[3] .

وإذا نظرنا إلي هذا الكلام نعرف سر الخروج علي القياس في المفعول له وهو الجر باللام التي تفيد العلية ، وأنه قد كثرت العلة الجامعة للشرطين فدلت هذه الكثرة علي اللام المحذوفة فنصبت المفعول له؛ لسقوط عامله الأصلي وهو اللام فيكون هذا التفسير للتخفيف؛لأن دوره علي اللسان كثيرا جعله مخففا .

### ٩ـ تغيير العامل في أسلوب النداء :

إذا تتبعنا الكلام العربي نجد النداء يكثر فيه فالعربي يبدأ كلامه بالنداء ويعطف بالنداء المكلم عليه ولا يتركه إلا إذا أقبل المخاطب عليه وقد فسر سيبويه كثرة باب النداء في اللسان العربي فيقول : "أول الكلام أبدا : النداء إلا أن تدعه استغناء بإقبال المخاطب عليك فهو أول كلام لك به تعطف المكلم عليك .

---

(١) انظر ابن يعيش ج٢ ص٥٢ ، ٥٣

(٢) المصدر السابق .

(٣) شرح الكافية للرضي ج١ ص١٩٤ .

والإمام السيوطي يفسر هذا فيذكر في هذا المعني : أنهم ينادون الأحياء والأموات [1] ولهذا تصرفوا في هذا الأسلوب تصرفات شتي منها ما يتعلق بالعامل وهي كما يلي :

**١ـ حذف حرف النداء :**

حذف حرف النداء يأباه القياس ؛ لأن هذا الحرف قد جئ به اختصارا أو نيابة عن الأفعال ؛ لأن "ما" النافية إنما تجيء نائبة عن الفعل "أنفي" ، وهمزة الاستفهام جاءت أيضا نائبة عن الفعل "استفهم" وكذلك حرف النداء فإنه ينوب عن الفعل "أنادى" .

فإذا أردت أن تحذف هذا الحرف مما سبق كنت قد اختصرت المختصر وهذا إجحاف[٢] .

وقد جاء علي اللسان العربي كثيرا أنه يحذف حرف النداء فقد ورد في القرآن الكريم : ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ ﴾[٣] .

وفي قوله سبحانه: ﴿ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ ﴾[٤] .

والعلة في حذف هذا الحرف أن الدليل علي المحذوف قوى وواضح لكثرة دوران المنادى فكان حرف النداء المحذوف كأنه موجود وملفوظ[٥].

٢- تقول العرب في نداء لفظ الجلالة "يا الله" مع أن حرف النداء لا يليه "أل" ولذلك نجد النحاة يعللون ذلك بسببين .

---

(١) انظر الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ج١ ص٣٣٤ .
(٢) انظر ابن يعيش ج٢ ص١٥ .
(٣) يوسف ٢٩ .
(٤) المائدة ١١٤ .
(٥) ابن يعيش ج٢ ص١٥ .

الأول : أن "أل" للتعريف ، والنداء يفيد التخصيص الذي هو نوع من التعريف ولهذا السبب لم يجمعوا بينهما، لأن أحدهما يكفي فيكون حرف النداء بدلا من "أل" في المنادى .

الثاني : أن "أل" تفيد تعريف العهد الذي يدل علي الغيبة ، لأن العهد يكون بين اثنين في ثالث غائب عنهما والنداء خطاب الحاضر وفي هذا الشأن يقول سيبويه – رحمه الله – واعلم أنه لا يجوز أن تنادى اسما فيه الألف واللام البتة ، إلا أنهم قالوا (يا الله اغفر لنا) وذلك من قبل أنه اسم يلزمه الألف واللام ، لا يفارقانه وكثر في كلامهم فصار كأن الألف واللام فيه بمنزلة الألف واللام التي من نفس الحروف [1].

ومعني كلام سيبويه – رحمه الله – أنه لا يجمع بين الألف واللام وحرف النداء إلا في لفظ الجلالة وعلل لذلك بأمرين : أن الألف واللام في لفظ الجلالة صارتا بمنزلة بعض حروف الكلمة لعدم مفارقتها اللفظ ؛ لأنه قد بني عليهما وأن لفظ الجلالة ينادى كثيرا في كلامهم ولذلك خفف هكذا .

والتخفيف الذي وقع في نداء لفظ الجلالة أنك تركت الموصول لنداء ما فيه أل وهو "أي" أو اسم الإشارة بأن يقال "يا أيها الرجل" أو "يا هذا" .

الثانية : "ما حدث لبعض أجزاء الجمل من تغيير تحدثنا سابقا عن[2] التغير الذي اعترى عوامل الجمل . وهنا نتحدث عن :

---

(١) الكتاب ج٢ ص١٩٥ .

(٢) صـــ ٢٢ من البحث

## ما يتعلق بجزء الجملة من تغيير كثرة الدوران

### ١- الخبر بعد " لولا " :

الخبر بعد "لولا" يحذف والقياس في ذلك أن يذكر ولا يحذف في ذلك جوازا أو وجوبا إلا بدليل[١] وفي هذا يقول شيخ النحاة سيبويه : "هذا باب من الابتداء ويضمر فيه ما يبني علي الابتداء ، وذلك قولك : "لولا عبد الله لكان كذا وكذا" فحديث معلق بحديث "لولا" وأما عبد الله فإنه من حديث "لولا" – يقصد سيبويه من شرطها – وارتفع بالابتداء ، وكان المبني عليه في الإضمار كان "في مكان كذا وكذا" فكأنه قال "لولا عبد الله بذلك المكان ، ولكن هذا حذف لكثرة استعمالهم إياه في الكلام [٢] .

فالخبر في "لولا عبد الله لكان كذا وكذا محذوف والذي تسبب في حذفه أن العرب استعملته كثيرا وتردد علي لسانهم كونا مطلقا ، كما أشار إليه النحاة بقولهم " في مكان كذا وكذا " وهذا ما قصد إليه النحاة بقولهم : "لولا عبد الله موجود" وقد عدل عنه شيخ النحاة سيبويه ؛لأن المجرور إذا كان خبرا فيحذف متعلَّقه وجوبا .

فالحذف في هذا لكثرة الدوران وهذه الكثرة دلت علي المحذوف وأما كون الحذف وجوبا فهو من جهة أخرى وهذه الجهة هي مقتضي "لولا".

يقول ابن هشام – في التصريح - : "وإنما حذف الخبر بعد "لولا" إذا كان كونا مطلقا ،لأنه معلوم بمقتضي "لولا" ؛إذ هي دالة علي امتناع لوجود ، والمدلول علي امتناعه هو الجواب والمدلول علي وجوده هو المبتدأ ،فإذا قيل : "لولا زيد لأكرمتك ، لم يشك في وجود "زيد" منع من الإكرام فصح الحذف لتعيين المحذوف "[٣] .

---

(١) شرح الكافية للرضي ج١ ص١٠٣ .
(٢) الكتاب ج٢ ص١٢٩ .
(٣) التصريح ج١ ص١٧٨ .

فابن هشام في تصريحه أفادنا أن الحذف كان لكثرته علي لسانهم وهو ما يعبر عنه بكثرة الاستعمال أو بكثرة الدوران علي اللسان .

## ٢ـ أسلوب التفضيل :

العرب يتصرفون في أسلوب التفضيل بصور متعددة من التغيير بناء علي كثرة الدوران وهذه الصور تتضح فيما يلي :

### أـ حذف المفضول ومعه "من" بعد "أفعل" :

من حالات أفعل التفضيل أن تأتي مجردة من "أل" والإضافة وعليه فيلزمه أن يكون مفردا مذكرا دائما،وأن تأتي بعده "من" وتكون جارة للمفضول تقول: "أحمد أكرم من فاطمة" "وفاطمة أكرم من هند" "والمحمدان أكبر من خالد"، وإذا كان "أفعل" خبرا يكثر فيه حذف "من" ومجرورها يقول الله تعالي : ﴿ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾[1] أي "منك" ويقل الحذف إذا وقعت "أفعل" صفة نحو "مررت بغلام أكرم" أو وقع حالا مثل"جاء خالد أسرع"أي من محمد مثلا هذا هو القياس[2].

كذلك يلزم حذف "من" ومجرورها إذا كان اسم التفضيل كلمة "أول" التي وقعت صفة لكلمة "عام" يقول شيخ النحاة سيبويه : "وسألت الخليل عن قولهم "من عام أولَ" و "من عام أول" – يعني برفع الأخير ونصب الأول – فقال : "أول ههنا صفة وهو أفضل من عامك، ولكن ألزموه الحذف استخفافا".

وإذا قلت : "عام أول" ، فإنما جاز هذا الكلام ؛ لأنه تعلم به أنك تعني العام الذي يليه عامك :

أما قوله : "ابدأ بهذا أول" "وابدأ بها أول" فإنما نريد أيضا : أول من كذا ، ولكن الحذف جائز جيد ، كما تقول "أنت تريد أفضل من

---

(١) الكهف ٣٤ .

(٢) أنظر التصريح ج٢ ص١٠٣ .

غيرك ، إلا أن الحذف لزم صفة "عام" لكثرة استعمالهم إياه حتى استغنوا عنه [1] .

فقد أفادنا كيف لزم الحذف لـ"من" ومجرورها بعد "أول" إذا كانت صفة واقعة "لعام" لأنه لما كثر ذلك في كلامهم علم منه المخاطب بالمراد وأنه يعني: العام الذي يليه عامك .

## ب ـ تصرف "آخر" عند العرب :

كلمة "آخر" اسم التفضيل تحذف بعده "مِن" ولكنها مرادة، ولهذا ينصرف، وتجمع وتثني وتؤنث، مع أن القياس فيها الإفراد والتذكير، كما لو كانت "من" مذكورة بعدها .

إلا أنه لما كثر حذف "من" معها ، وكثر استعمالها مفردة من الموصول في نحو "مررت بغلام مجتهد وغلام آخر" أجروْها مُجرى الأسماء فجمعوها وثنوها فقالوا :"مررت بآخرين " "وبأخرين" الأول بالتثنية والثاني بالجمع، قال تعالي: ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾[2] .

وقال سبحانه : ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ ﴾[3] .

وبهذا فقد فارقت "آخر" أخواتها ونظائرها من أسماء التفضيل التي إذا حذفت منها "من" ومجرورها وكان مقدرة استوي فيها المؤنث والمذكر نحو قوله تعالي:﴿ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ ﴾[4] بغير "ال" والإضافة في "آخر" "فآخر" قد أخذ من الطرفين حظاً فأخذ من الأول منع الصرف وأخذ من الثاني التثنية والجمع والتأنيث[5] .

---

(١) الكتاب ج ٣ ص ٢٨٨ .
(٢) آل عمران ٧ .
(٣) التوبة ١٠٢ .
(٤) الكهف ٤٦ .
(٥) انظر ابن يعيش ج ٦ ص ٩٩ .

### جـ- اسم التفضيل يعامل معاملة الأسماء :

علم مما سبق[1] أن القياس في " اسم التفضيل " أنه لا يتثني ولا يجمع ولا يؤنث إذا جاء مجرداً من "ال" والإضافة ولهذا نجد أبا نواس في قوله :

كأن صغري وكبري من فقاقعها ∴ حصباء در علي أرض من الذهب (٢)

فقد ترك أبونواس القياس : وهو "أصغر وأكبر" ولعل عذره أنه استعمله استعمال الاسماء ولقد وردت صفات كثر مجيئها بدون كلام موصوف نحو "دنيا" "عليا" و "قصوي" فهي في الأصل – صفات بوزن فُعْلي ومذكراتها "الأدني" "الأعلي" "الأقصي" فلما استعملها العرب استعمال الأسماء – في حالة التنكير فلا يكادون يذكرون معها الموصوف – عاملوها معاملة الأسماء فأنثت وجمعت وثنيت وحقها ألا تتصرف هكذا إلا مع"الـ"أو الإضافة فيقال "الدنيا" أو "دنيا الناس".

يقول العجاج :

يوم تري النفوس ما أعدت ∴ في سعي دنيا طالما قد مدت (٣)

قال الجاربردي : "تقول إنهما اسمان ، وأنث كما تصف بهما ، وتقول : الدار الدنيا والمنزلة العليا ؟

قلت : هذان وإن كنت تراهما صفتين فإنهما لا يكونان كذلك إلا في حال التعريف ، فلما اختص كونهما صفة بحال التعريف كان كونهما صفة كلا صفة (٤) .

---

(١) ص ٣٦ من البحث .

(٢) انظر ديوانه ٣٩ والتصريح ج ٢ ص ١٠٢ وابن يعيش ج ٦ ص ١٠٠ والأشموني ج ٦ ص ٤٨ .

(٣) انظر الخزانة ج ٨ ص ١٩٦ وابن يعيش ج ٦ ص ١٠٠ وشرح الكاف للرضي ج ٢ ص ٢١٩ .

(٤) الجاربردي ج ١ ص ٣٠٨ .

والمعني:- فيما سبق كله – أن "كبري" و"صغري" و "قصوي" و"عليا" قد استعملت استعمال صفات محضة إذا كانت " بأل " فإذا اعتراها التنكير استعملت استعمال الأسماء بدون أن يتقدم عليها موصوف وبذا تصرفت تصرف الأسماء .

**٣ـ تخفيف المضاف إليه في المنادي :**

تقول العرب : "يابن أُم" و "يا ابن عَّم" بفتح ميم "أم" و"عم" فهم يجعلون ذلك التركيب بمنزلة اسم واحد وهذا لكثرته في كلامهم من "يا ابن أبي" "ويا غلام أخي" كأنهم جعلوا الأول والآخر اسما ، ثم أضافوا إلي الياء مثله في ذلك "أحد عشرا أقبلْ" ولك أن تقول إنهم حذفوا الياء لكثرة هذا في كلامهم .

والأصل والقياس أن المنادي إذا كان مضافا لمضاف إلي ياء المتكلم فإنهم لا يحذفون ياء المتكلم ، وذلك نحو "يا غلام صديقي" "ويا ابن أخي"؛ لأن المضاف لياء المتكلم لا يقع عليه النداء في هذه الحالة ، ونحذف إذا وقعت موقع التنوين ، لأنه يحذف فيه .

إلا أن العرب خالفت هذا الأصل والاضطراد في "يا ابن أم" و "يا بن عم" فحذفت ياء المتكلم تخفيفاً لكثرة الاستعمال كما ذكره النحاة وبيان ذلك ؟

١– أن العرب تقول " يا ابن أم " و " يا ابن عم " يكسر ميمها وبهذا قرأ ابن عامر والكسائي في قوله تعالي : ﴿ قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ﴾[1] .

**ويوضح سيبويه هذه اللغة بأحد التفسيرين الآتيين .**

الأول : أن المنادى وما أضيف إليه قد جعلا اسما واحدا ثم أضيفا إلي الياء التي حذفت اكتفاء بالكسرة قبلها كما يفعل بالمنادى المضاف للياء مثل "يا عباد" .

---

(١) طه ٩٤ والقراءة في الإتحاف ج ٢ ص ٢٥٥ .

التفسير الآخر: أن يكون المنادى مضافا إلي "أم" و "عم" المضافين للياء ، وقد حذفوا الياء مما أضيف إليه المنادى – مع أن الأصل إثباتها – وذلك لكثرة التردد علي اللسان وهو ما يسمي كثرة الاستعمال ولذلك يقول سيبويه : وذلك قوله : "وإن شئت قلت حذفوا الياء لكثرة هذا في كلامهم أ.هـ[1] .

٢- أن العرب تفتح آخر "أم" و "عم" وهذا ثابت وموجود في قراءة أبي عمر [2] ، ويعلل لذلك سيبويه أن المنادى "ابن" وما وليه "أم" أو "عم" جعلا معا بمنزلة اسم واحد فيجعلون فتحة أخره بناء وليس نصبا فهذه الفتحة نزلت منزلة فتحة " خمسة عشر" وإنما كان ذلك من فتح آخرهما لأنه أعتبر تخفيفا لكثرة الاستعمال دون غيرهما من النظير وهو "يا ابن أخي" و "يا غلام صديقي" وغير سيبويه يجوز في تفسير هذا الفتح، أن الأصل عنده "يا ابن أما" بالألف في "أما" المنقلبة عن ياء المتكلم، ثم حذفت هذه الألف تخفيفا، لأنها بدل من الياء وحذفت مما أضيف إليه المنادى، وهي غير محذوفة في نظائرها ،لأن النظائر قليلة الدوران علي لسانهم وعلي هذا ففتحة"ابن" للإعراب مثلها في ذلك "يا غلام صديقي" [3].

**٤ـ أسلوب القسم :**

لما كان أسلوب القسم يكثر ويتردد علي لسانهم فقد وقع فيه التغيير تخفيفا أو استخفافا وكان ذلك التغيير واقعا في أكثر من جهة.

(١) الكتاب ج٢ ص٢١٤ .
(٢) أنظر الإنصاف ج٢ ص٢٥٥ .
(٣) انظر المصدر السابق .

### أ ـ يحذف المبتدأ في القسم :

لننظر في الأمثلة الآتية ونتعرف علي المبتدأ المحذوف لكثرة الاستعمال:"لاها الله ذا"و "إي ها الله ذا" وتقول ها لعمر الله ذا"[١] .

وبيان ذلك جاءت "ها" للتنبيه قبل لفظ الجلالة وكانت بدلا من حرف القسم قبل المقسم به وحروف التنبيه من تمام اسم الإشارة وقد فصل بينهما بالمقسم به وهو لفظ الجلالة أو تقول قدم حرف التنبيه من قول الخليل – رحمه الله – "إن " "ذا" خبر لمبتدأ محذوف ، أي ها الله الأمر ذا ، والجواب الذي يأتي بعده نحو (لاها الله ذا لأفعلن بدل من الجواب الأول ، "الأمر ذا" فجملة " الأمر ذا " جواب القسم .

### ٥ ـ التغيير في الأمثال وما أشبهها :

إن العرب تلتزم فتح "حاء" "حب" مع "ذا" ويجوز أن تضم هذه الحاء مع غير "ذا" وذلك ، لأن "حبذا" كثيرة علي اللسان عندهم حتى إنها صارت كالمثل ، فهي مثل "الصيف ضعيت اللبن" [٢] وهي بكسر التاء وتقال لغير المفرد المؤنث كما تقال له [٣] .

ولقد أفرد سيبويه الأمثال تحت عنوان: "وهذه حجج سمعت من العرب ، وممن يوثق به ، يزعم أنه سمعها من العرب [٤] .

وجاء بعده الزمخشري فنقل هذا في مفصله ، ولما كانت الأمثال وما جرى مجراها مهمة في التغيير لكثرة الاستعمال أحببت أن لا يحرم بحثي هذا من تغيير الأمثال فلقد ذكر سيبويه من الأمثال قولهم : "اللهم ضبعا وذئبا" إذا كان يدعو بذلك علي غنم الرجل فقال : "وإذا سألهم ما يعنون ؟ قالوا : "اللهم اجمع أو اجعل فيها ضبعا وذئبا"[٥].

---

(١) شرح الكافية للرضي ج٢ ص٣٣٦ .
(٢) فصيح ثعلب ٨٩ .
(٣) أنظر التصريح ج٢ ص١٠٠ .
(٤) الكتاب ج١ ص١٥٥ .
(٥) الكتاب ج٢ ص٢٥٥ .

قال : أبو العباس سمعنا أن هذا دعاء لها، لا دعاء عليها، لأن الضبع والذئب إذا اجتمعتا تقاتلا ، فأفلتت الغنم .

قال : "وأما ما وصفه سيبويه فإنه يريد ذئبا من هنا وضبعا من ههنا فلا يصل كل واحد منهما إلي الآخر،وإن اجتمعا في الغنم[1] .

ومن ذلك أن أبا الخطاب الأخفش سمع بعض العرب قيل له : "لم أفسدتم مكاتكم هذا ؟ فقال الصبيان بأبي[2] كأنه خشي أن يلام : فقال لُم الصبيان فأضمر الفعل الناصب تخفيفا ولقد نقل سيبويه كثيرا عمن يوثق به أنه قيل لبعضهم : أما بمكان كذا وجد ؟ [3] .

قال : بلي وجاذا أي أعرف به وجاذا، أي أعرف به وجاذا ، فأضمر العامل.

ولقد نقل أن العرب تقول :"الظباء علي البقر" أي خل الظباء علي البقر، أي خل الناس خيرهم وشرهم واسلك طريق السلامة ويروي كثير من النحويين(الكلاب علي البقر)وهي رواية للميداني[4].

وذكر ابن يعيش بعضا من الأمثال منها : "أصبح ليل" "وافتد مخنوق" "وأطرق كرا" .

ولقد قال معقبا عليها : "قد جاء عنهم حذف حرف النداء من النكرة المقصودة قالوا أن هذه أمثال معروفة فجرت مجرى العلم في حذف النداء منها ، فقال أبو العباس المبرد :

الأمثال يستجاز فيها ما يستجاز في الشعر لكثرة الاستعمال [5] .

---

(١) ابن يعيش ج١ ص١٢٦ .
(٢) الكتاب ج١ ص٢٥٥ .
(٣) الوجذ نقرة ماء ، والمثل في لسان العرب وعند سيبويه أيضا (وجذ) .
(٤) مجمع الأمثال ج٣ ص٢٢ .
(٥) شرح ابن يعيش ج٢ ص١٦ .

ويقول ابن يعيش : "وأما قولهم : "هذا ولا زعماتك" فهذا مثل يقال لمن يزعم زعمات ويصح غيرها ، فلما صح خلاف قوله قيل هذا ولا زعماتك ، أي هذا هو الحق ، ولا أتوهم زعماتك ، ولا يجوز ظهور هذا العامل الذي هو "أتوهم" وشبهه ،لأنه جرى مثلا ، والأمثال لا تغير ، وظهور عامله ضرب من التغيير[١] .

ويذكر ابن يعيش المثل كثيرا في شرح المفصل لتوضيح الحذف لكثرة الاستعمال نحو "كل شيء ولا شتيمة حر" والتقدير كل شيء ولا تأت شتيمة حر ، ويرفع الأول وينصب الثاني أي كل شيء أمم ولا تشتمن الحر[٢] .

كما أن ابن يعيش حدثنا عن أشياء تجرى مجرى المثل فيذكر : "كلاهما وتمرا" قد رواه الميداني في مجمعه[٣] والرواية برفع "كلا" ونصبها فمن رفع جعله مبتدأ و الخبر محذوف ، أي كلاهما ثابت لي وزدني تمرا، ومن نصب أضمر فعلا، أي اعطني كليهما وتمرا.

ولقد جاء الرضي وعلق علي الحذف في المثل بقوله : "ووجوب الحذف في جميع ما ذكر وأمثالها لكونها أمثالا أو كالمثل في كثرة الاستعمال والأمثال لا تتغير[٤] .

كما أن ابن هشام علق علي المثل "الكلاب علي البقر" فقال "الكلاب" منصوب بفعل محذوف وجوبا أي "أرسل" ولا يجوز ذكره ، لأن ذكره يغير المثل، والأمثال لا تتغير، لأنها لما تشابه مضربها بموردها لزم أن يلتزم فيها أصلها [٥] .

---

(١) المصدر السابق ج٢ ص٢٧ .
(٢) أنظر ابن يعيش ج٢ ص٢٧ والكتاب ج١ ص٢٨٠ .
(٣) مجمع الأمثال ج٣ ص٣٨ .
(٤) شرح الكافية ج١ ص١٠٣ .
(٥) التصريح ج١ ص١٣١ .

مما يتعلق بالتخفيف في الأمثال القول بأن ( الأمثال لا تتغير ) هذه المقولة تضيف في فهم تغيير كثرة الاستعمال ، لأن معني عدم تغيير الأمثال ، أن المثل عندما نطقته العرب لاحظوا عدم طرو ما يخرجها عن اللفظ الذي جاء موردها بها وإنما تكثر عند العرب في لسانهم فوضعوها أولا علي التخفيف وهذا هو المعني الذي جاء به الأخفش يقول السيوطي : "وقال ابن الدهان في الغرة : "ذهب الأخفش إلي أن ما غير لكثرة استعماله إنما تصورته العرب ، أنه لابد من استعماله فابتدأوا بتغييره علما بأنه لابد من كثرة استعماله الداعية إلي تغييره [1] .

وأعلم أن الأمثال وشبهها يسمونها "السماعيات" أي أن الحذف وقع فيها ولا يحتاج إلي ضابط صرفي ولا نحوى .

وهنا يقول الشيخ الرضي – رحمة الله - : "وعله وجوب الحذف في السماعيات كثرة الاستعمال وإنما كانت سماعية لعدم ضابط يعرف به عله وجوب الحذف ، أي : كثرة الاستعمال ، بخلاف المنادي فإن الضابط كونه منادي [2] .

وجاء في الشافية أن الجاربردي قال : "وأما هوالك يريد في جمع "هالك" لا "هالكة" فجاء في المثل "فلان هالك في الهوالك" والأمثال كثيرا ما تخرج عن القياس [3] .

ولقد ذكر الشيخ الأشموني في قولهم:اسق رقاس فإنها سقاية". وإنهم لم يقولوا كما هو القياس لمكان الأمثال من كثرة الاستعمال[4].

---

(١) الأشباه والنظائر للإمام السيوطي ج١ص٣٣٥ دار الكتب العلمية.
(٢) شرح الكافية ج١ ص١٣١ .
(٣) الجاربردي ج١ ص١٣٤ .
(٤) الأشموني ج٤ ص٢٨٥ .

## شبه الأمثال :

والمقصود بهذا: الشبه في كثرة الاستعمال وفيه هنا يقول اللقاني: " الفرق بينه وبين المثل . أن المثل كلام شبه ما استعمل فيه بما وضع له ، وما جرى مجراه : كلام مستعمل فيما وضع له ، شائع الاستعمال ، أي : كثير الدور علي الألسنة "[1] .

## نماذج جرت مجرى الأمثال :

يقولون : "حسبك خيرا لك" وقولك (وراءك أوسع) أي حسبك وأت خيرا لك، ووراءك وأت مكانا أوسع لك .

ويقولون:"انته قاصدا" أي انته وأنت قاصدا وقد ورد في القرآن الكريم :﴿ انتُهوا خَيْرًا لَّكُمْ ﴾[2] فيعربون "خيرا" مفعول به لفعل محذوف وجوبا ،أي: وآتوا وقدر الكسائي يكن الانتهاء خيرا لكم ، ورد بأن "كان" لا تحذف مع اسمها ويبقي خبرها كثيرا إلا بعد "إن" و "لو" وقدر الفراء، انتهوا انتهاء خيرا لكم [3] .

وذكر سيبويه مثلا لما حذف شذوذا من كثرة الاستعمال وهذا المثل "حينئذ الآن" وهذه العبارة اختصار لجملتين والمعني كان ما تقول حينئذ واسمع إليَّ الآن[4] .

و"حين" ظرف و"الآن" ظرف أيضا،وكل ظرف يحتاج إلي متعلق وهنا يقول ابن يعيش:"ولابد لكل واحد منهما من عامل ولا عامل في اللفظ فكانا مقدرين في النية، والتقدير: كان هذا حينئذ، واسمع الآن

---

(١) حاشية ياسين ج١ ص٣١٥ .
(٢) النساء ١٧١ .
(٣) شرح الكافية للرضي ج١ ص١٢٩ .
(٤) الكتاب ج١ ص٢٢٤ .

إليَّ ، فكان تامة وهي عاملة في "حينئذ" ، واسمع عاملة في "الآن" ولا تكون "كان" عاملة فيهما، لأن الفعل الواحد لا يكون له ظرفان(١).

وهنا حذف فعلا الجملتين حذف لازما اكتفاء بالظرفين لجريه مجرى المثل .

## ٦- "ولاسيما" :

النحاة يجعلون "لاسيما" أسلوبا من أساليب الاستثناء ، لأن ما بعدها يخالف ما قبلها فتقول: "ما جاءني القوم ولاسيما زيد" أي أن زيدا قد خص بمزية المجيء أولا، أو أنه كان مخلصا في المجئ ومن هنا كانت المخالفة ، لأنه مجيئه ليس كمجيء القوم وهذا معني الإخراج وإن كان ما بعد "سيما" مفصولا عن ما قبلها ولذلك يقول ابن يعيش : "ولا يستثني بـ"لاسميا" إلا فيما يراد تعظيمه .

أما الإعراب لما بعدها فيكون الرفع والجر سواء كان نكرة أو معرفة ويفضل الجر علي أن "ما" في لاسيما زائدة .

و "سيء مضافة إلي ما بعد "ما" ولكن الرفع قبيح ، لأن "ما" فيه موصولة ، وما بعدها خبر مبتدأ محذوف أي لا مثل الذي هو زيد ، فالحذف وقع في ما ليس بفضله يقول امرؤ القيس

ألا رب يوم منهن صالح .·. ولاسيما يوم بدارة جُلْجُل (٢)

فيوم يصح أن يكون مرفوعاً أو مجروراً أو منصوباً علي التمييز عند ابن هشام أو يكون منصوبا علي الظرفية عند ابن يعيش(٣).

والرضي يرى أنه منصوب بإضمار "أعني"(٤) .

---

(١) ابن يعيش ج٢ ص٤٧ .

(٢) انظر ديوانه ١٤٥ وشرح الكافية للرضي ج١ ص٢٤٩ وابن يعيش ج٢ ص٨٦ .

(٣) المغني ج١ ص١٢٣ وابن يعيش ج٢ ص٨٦ .

(٤) شرح الكافية ج١ ص٢٤٩.

## تصرفات "لاسيما" :

هذه اللفظة قد تصرفت تصرفات كثيرة وذلك لكثرة الاستعمال عند العرب فتراها .

أ- مشددة الياء مسبوقة "بلا" التي جاءت بعد الواو يقول ابن هشام قال ثعلب :"من استعمله علي خلاف ما جاء في قوله "ولاسيما يوم بدارة جُلْجُل" فهو مخطئ [1] .

ب- قد يأتي "سيما" مخففة فتحذف منها "لا" وإحدى باء "سيما" وقد تحذف منها الواو قال الشاعر :

فـه بـالعقود وبالإيمـان لاسيمـــا ∴ عقد وفاء به من أعظم القـرب[2]

جـ- يحذف ما بعد "لاسيما" فيصير بمعني "خصوصـا" فهـو منصوب المحل لأنه مفعول مطلق ، لأنه قام مقام "خصوصـا" مثـل "أحب زيدا ولاسيما راكبا" أو "لاسيما في المدرسة" كل هذا التغيير في لفظة "ولاسيما" لأن العرب استعملته كثيرا وفي المثـالين السـابقين يمكن أن تحذف الواو وأن تبقي [3] .

### ٧ـ التوسع في الظرف والمجرور :

قال تعالي:﴿ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾[4] في الآية الكريمة حدث تقديم جائز في الخبر وهو "مع" لأنه ظرف والعرب تتوسع فـي الظـروف بتقديمها ولم تتوسع في غيرها يقول ابن عصفور وإنما جاز تقـديم الخبر – يعني في قوله: ﴿ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾[5] إذا كان ظرفا ، لأن العرب اتسعت في الظروف ما لم تتسع في غيرها [6] ، والسبب فـي

---

(١) المغني ج١ ص١٢٣ وشرح الأشموني ج٢ ص١٦٨ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) انظر شرح الكافية للرضي ج١ ص٢٤٩ .
(٤) الشرح ١ .
(٥) السابق .
(٦) شرح المقرب لابن عصفور للدكتور علي فاخر ١١٣٦ .

اتساعها في الظروف من بين سائر المعمولات : أن كل كلام لابد فيه من ظروف ملفوظ به أو مقدر : ألا ترى أنك إذا قلت : "قام زيد" فلابد للقيام من ظرف زمان وظرف مكان فيها فلما كثر استعماله اتسعوا فيه ما لم يتسعوا في غيره ويفهم من كلام ابن عصفور معني كثرة الظرف في كلام العرب ، وأن معني الاتساع فيه وفي المجرور هو التسامح في وضعهما في الجملة .

ويقول ابن هشام: "واغتفروا توسط الظرف والمجرور للتوسع فيهما لكثرتهما"[1] وتزيد علي ذلك أن الأفعال تدل علي الزمان والمكان وإن لم يذكرا ، وما كان بهذه الصفة فهو كالمستغني عنه ، فمتي فصل لواحد منهما كان الفصل كلا فصل ومتي قدم واحد منهما كان كالمؤخر [2] .

فالتوسع في الظرف والمجرور هو تقديمها أو الفصل بهما حيث لا ينعدم ولا يفصل بغيرهما .

**وفيما يلي صور مختلفة لهذا التوسع :**

١- يتقدم الظرف والمجرور علي "ما" النافية مع لزومها التصدر ومنعها عمل ما بعدها فيما قبلها، وذلك مثل: "أنا عن معروفك ما استغنيت" [3] .

٢- الظروف والمجرور يقدمان علي العامل المعنوي مثل "أكل يوم لك صديق" فالفاعل "في كل يوم" المجرور "لك" [4] .

---

(١) التصريح ج١ ص٢١٤ .
(٢) انظر الأشباه والنظائر في النحو للإمام السيوطي ج١ ص٢٨٨ .
(٣) انظر المغني ج٢ ص١٩٩ والأشباه والنظائر ج١ ص٢٨٧ .
(٤) الأشباه والنظائر ج١ ص٢٨٧ .

٣- يقدمان معمولين لصلة "أل" علي الأرجح في مثل قوله تعالي: ﴿ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾[١] فالمجرور فيه معمول لاسم الفاعل الواقع صلة "لآل" خلافا لمن جعله متعلقا بمحذوف [٢] .

٤- في إن وأخواتها لا تتوسط أخبارها بينها وبين أسمائها، لأن في هذا التوسط ذهاب صورة تقدم المنصوب علي المرفوع وهذه الصورة اهتم بها العرب للتفريق بين هذه الحروف وبين الأفعال التي حملت هي عليها وتنبها علي أصالة الأفعال في العمل وفرعية هذه الحروف[٣] .

٥- يفصل بالظرف والجار والمجرور بين الاستفهام والقول الجاري مجرى الظن ، لأن العرب يجرون القول مجرى الظن إذا وقع بعد الاستفهام متصل بالقول أو مفعول بالظرف أو المجرور مثل "أفي المسجد تقول محمدا مقيما" ؟ وعندما نقول أعندنا تقول "هندا جالسة" قال الشاعر :

أبعد بعد تقول الدار جامعة .·. شملي بهم؟ أم تقول البعد محتوما؟[٤]

لقد فصل بالظرف "بعد" بين "الهمزة" و"تقول" وعملت "تقول" عمل "ظن" فلو فصل بغير ظرف أو مجرور وجبت حكاية ما بعد القول "أأنت تقول محمد مسافر" .

ومن ذلك أيضا أن أخبار"إن"وأخواتها إذا كانت ظرفا أو مجرورا فإنه يصح حذفها والسكوت علي أسمائها كقول العرب :"إن مالا وإن ولد وإن عددا" في جواب هل لهم مال؟وهل لهم ولد؟ والأخبار علي

---

(١) يوسف ٢٠ .
(٢) انظر المغني ج٢ ص١٩٩ .
(٣) انظر التصريح ج٢ ص٢١٤ .
(٤) انظر الأشباه والنظائر ج١ ص٢٨٧ والتصريح ج١ ص٢٦٣ والمغني ج٢ ص١٩٩ .

ذلك مقدرة فتقول "إن لهم مالا" و"إن لهم ولدا" وإن لهم عددا" يقول الشاعر .

إن محلا وإن مرتحلا ∴ وإن في السفر إذ مضوا مهلا (١)

والمعنى : إن لنا محلا إذا عشنا وإن لنا مرتحلا إلي الآخرة وقول العرب "إن غيرها إبلا وشاء" فغيرها اسم "إن" والخبر جاء محذوفا ، وإبلا وشاة تمييز ومنه قول رؤبة :

ياليت أيام الصبا رواجعا (٢)

والتقدير: يا ليت أيام الصبا لنا وأحسن منه أن تكون "ليت" ناصبة للجزءين كما هو لغة تميم[٣] وعليه يكون الخبر محذوفا للاتساع في الظرف[٤] والمجرور كما هو واضح[٥] .

**٨ـ فصل فعل التعجب من معموله بالظرف والمجرور :**

الفصل بين فعل التعجب ومعموله بمجرور أو ظرف ، وهذا المجرور والظرف غير متعلقين بفعل ممنوع باتفاق النحاة ولكن النحاة اختلفوا في حكم الفصل إذا كانا متعلقين بفعل التعجب .

١- الأخفش والمبرد وأكثر نحاة البصرة يمنعون وحجتهم أن أسلوب التعجب أخذ حكم الأمثال للزومه طريقة واحدة ، والأمثال لا تغير وأن فعل التعجب ضعيف لعدم التصرف .

٢ـ أن الجرمي والفراء والزجاج والفارسي وابن خروف يجوزون الفصل نحو "ما أحسن في الشعر محمدا" وأكرم عندنا بمحمد وأنهم يبررون :

---

(١) انظر العيني والأشموني ج٢ ص٢٦ .

(٢) انظر ديوانه ١٣٧ (دار صعب ببيوت) والخزانة ج١٠ ص٤٥٢

(٣) انظر شرح الكافية للرضي ج٢ ص٢٤٧ والخزانة ج١ ص٢٣٤ وابن يعيش ج١ ص١٠٣ .

(٤) شرح الكافية للرضي ج٢ ص٣٤٧ ، ١١٣٦ ، وابن يعيش ١٥٠/٧ .

(٥) شرح المقرب لابن عصفور شرح د/ علي فاخر .

ذلك بأن فعل التعجب ليس أضعف من "إن" وقد أجيز فصلها من اسمها بالظرف وهذا الرأي هو الذي يرتضيه ، لأن كون التعجب كالأمثال معارض بالتوسع في الظروف والمجرور ، بقول الشيخ خالد الأزهري : "والصحيح " الجواز للتوسع فيهما [١] .

**٩ـ فصل "كم" الاستفهامية من مميزها بالظرف والمجرور :**

كم الاستفهامية معناها العدد المبني خمسة عشر مثلا وأخواتها أو ما فيه النون نحو "عشرون" وأخواتها [٢] .

ويجوز الفصل بين "كم" الاستفهامية هذه ومميزها بالمجرور والظرف وهذا الجواز يكون حسنا تقول: "كم لك غلاما" ؟ "وكم عندك جارية" ؟ ولكن هذا الفصل لا يحسن في الأعداد السابقة التي بمعنى "كم" لا تقول عندي أربعة عشر في المدرسة طالبا" ولا تقول هؤلاء عشرون عندي كتابا لأن كم هذه في الأصل تكون مستحقة للتمكن بحكم اسميتها ، ثم بعد ذلك منعت التمكن ، لأن البناء قد أوجب لها وهي تشبه الحروف فجعل هذا الفصل عوضا لها ، لأنها منعت من التصرف وقد يجيء الفصل قبيحا فيما كان بمعناها وتمييزه نحو "قبضت أربعة عشر لك جنيها" "أو رأيت شرين في الدار رجلا" [٣] .

**١٠ـ التغيير في أسلوب النفي لكثرة الاستعمال :**

النفي والنداء موضعا تخفيف، لأنه كثير الدوران في لسانهم[٤] .

**أ- اسم "لا" المحذوف :**

القياس في اسم "لا" الذكر دون الحذف أما إذا كان خبرها كلمة "عليك" في مثل "لا عليك" فإن اسمها يحذف لكثرة الدوران في اللسان

---

(١) التصريح ج٢ ص٩٠ .
(٢) شرح الكافية ج٢ ص٩٦ .
(٣) انظر شرح ابن يعيش ج٤ ص١٣٠ وشرح الكافية ج٢ ص٩٦
(٤) انظر الكتاب ج٢ ص٢٧٨ .

العربي أو لكثرة الاستعمال ، فإنه هنا كلام جرى مجرى المثل فيعرف المخاطب المراد "لا بأس عليك"، أو لا شيء عليك ، ولا يكون هذا في غير "عليك" فلا تقول "لا فيك" و "لا منك" ويكون المراد : لا خير فيك لا شر منك، بل يصرح باسم "لا" هنا لعدم الكثرة والدوران في الكلام(١) .

ب- ومثل "لا عليك" في الحذف والتخفيف قول العرب: "لا كالعشية عشية" يريدون بذلك " لا رجل كزيد" ولا عشية كالعشية فالجار والمجرور "كزيد" و "كالعشية" خبر "لا" واسمها محذوف للتخفيف لكثرة الدوران في كلامهم وجاء قول امرئ القيس :

ويلمها في هواء القوم طالبة ∴ ولا كهذا الذي في الأرض مطلوب (٢)

فقول امرئ القيس "كهذا" خبر "لا" وجاء اسمها محذوفا لكثرة الاستعمال أو الدوران في كلامهم أي لا شيء كهذا الذي في الأرض ، ولما كان النفي قد دار في لسانهم كثيرا حذفوا في لا عليك وفي "لا كزيد رجلا" .

### جـ- العدول عن تكرار "لا" :

إذا استعملت "لا" بمعني "غير" وكان المقصود سلب ما أضيف إليه نحو "غضبت من لا شيء" بجر شيء بالحرف ومثل ذلك "ابن لا شيء" بجر شيء بالإضافة ومثل ذلك "أنك ولا شيئا سواك" بنصب "شيء" عطفا علي اسم "إن" ومثل " أنت ولا شيء سواء " برفع شيء عطفا علي المبتدأ فحقها أن تكرر لإهمالها ، ولكنها هنا وردت عن العرب في هذه الأساليب غير مكررة تخفيفا لما كثر استعماله وهو "لا" مع "شيء" (٣) .

---

(١) المصدر السابق ج٢ ص٢٩٥ .
(٢) ديوانه ٦٩ .
(٣) انظر شرح الكافية للرضي ج١ ص٢٥٩ .

د- المضارع يقع كثيرا حالا مع "لا" النافية :

إذا وقعت جملة الحال فعلية وفعلها مضارع مثبت ربطت بصاحبها بواسطة الضمير وحده ، لأن المضارع بوزن اسم الفاعل لفظا ومعني فإن الحذف والتخفيف فيه لكثرة الدوران في اللسان العربي وذلك نحو "جاء زيد يسرع" بمعني " مسرعا" والمضارع هنا يصلح للحال فبين الحالين تناسب فهنا يستغني عن الربط بالواو[1].

وبذا تكون محذوفة لكثرة الاستعمال، وإذا نفي هذا المضارع "بلا" لزمه الضمير كما تلزم المضارع المثبت ، لأن قولك "جاء محمد لا يسرع" في معني جاء غير مسرع فلا تغير الكلام – في الأغلب" عما كان عليه لكثرته عندهم [2] .

## التغيير في ألفاظ اللغة من كثرة الدوران

لقد كان لدوران الكلام علي اللسان العربي فضل في التغيير الذي يكون مراده التخفيف ، ومعني هذا أن القياس يقتضي إعرابا معينا فتدعو كثرة الاستعمال إلي إعراب غيره ، أو أن يكون القياس أكثر من إعراب ولكن كثرة الاستعمال تلزمه إعرابا واحدا أو أن هذه الكثرة تدعو إلي البناء والقياس يدعو إلي الإعراب ، أو أن يكون المبني محركا بحركة خاصة ولكن كثرة الاستعمال تخرجه عن هذا إلي غيره ، أو أن تحرك حركات البنية لغير مقتضي سوى الكثرة وفيما يلي دراسة هذه في الآتي:

١- البناء من كثرة الاستعمال في الآتي :

أ- بناء فعل الأمر عند البصريين .

ب- قولهم أعطيته بادئ ذي بدئ .

جـ- قولهم : " لهي أبوك " .

---

(١) انظر المغني ج١ ص١٢٣ ج٢ ص١٦٨ .

(٢) المصدر السابق .

د- قولهم " يا ابن عم " " يا ابن أم " .

٢- تعدد نعوت لفظ الجلالة .

٣- إضافة العدد إلي مميزه .

٤- نصب "غدوة" بعد "لدث" .

٥- تفضيل بعض الحركات علي بعض في :

أ- إسكان لام الأمر .

ب- فتح عين بعض الأعلام المستحقة للكسر وعكسه.

جـ- إسكان هاء الضميرين "هو" و "هي" .

د- كسر حرف المضارعة في "بأبي" و "يوجل" .

هـ- ضم ميم "من" الجارة .

و- فتح المنادي المستحق للضم .

ز- فتح آخر "أين" و "كيف" .

حـ- فتح نون "من" قبل "أل" .

**وإليك تفصيل كل من ذلك حسب ترتيبه :**

**أ- البناء لكثرة دوران الكلام علي اللسان العربي :**

والمقصود : أن يكون كثرة الاستعمال سببا في بناء الكلمة ، وقد كانت هذه الكثرة تدعو إلي التخفيف بالإعراب ، فالإعراب تخفيف ودليل علي تمكن الاسم في الاسمية فقد سمعنا حديث الصرف والتنوين "لغدوة" بعد "لدن" وأنه ضرب من التخفيف لأن تنوين الكلمة دليل علي تمكنها في الاسمية وذلك بالإبعاد عن شبه الفعل الذي اقتضي مع الصرف[1] .

وفيما ورد عن النحاة أشياء غير قليلة يظهر فيها التعليل للبناء أنه كثرة الاستعمال وفيما يلي ألوان من المبينات بسبب كثرة الاستعمال .

---

(١) الخصائص بتعديل بسيط ج١ ص٣٩٨ ، ٣٩٩ .

### أ ـ بناء فعل الأمر عند البصريين :

دخول اللام علي المضارع أصل في الأمر ويلزم هـذا الـدخول لإفادة الأمر،لأن الحروف موضوعة لإفادة المعاني مثل"لا"للنهي و"لم" للنفي،لكن العرب في أمر المخاطب حذفوا حرف المضارعة لكثرة أمر المخاطب في كلامهم،ولما حدث هذا الحذف لم يأتوا بلام الأمر، لأنها تعمل الجزم ولم يعد الفعل صالحا للجزم بحذف حرف المضارعة.

يعني أن كثرة الاستعمال في الفعل المضارع المقرون باللام التي للأمر حذفت حرف المضارعة واللام وأصبح فعل الأمر مبنيـا بعـد إعرابه وهذا ما ذهب إليه البصريون فقال البصريون فعل الأمر مبني، لأن قياسه أن يكون مجزوما باللام ولما حذفت اللام من مـع حـرف المضارعة تخفيفا لكثرة الاستعمال زالت علة إعرابه وهـي موازنـة الاسم فرجع الفعل إلي أصله من البناء [1] .

### ب ـ قولهم أعطيته "بادي ذي بدئ" :

أصل هذه العبارة "بادي بدي" بوزن "فاعل فعيـل" وهـو نكـرة ومحله النصب، لأنه حال وهو مضاف ومضاف إليه ولذلك الأصل فيه أن يكون كل منهما معربا ، ولكن لما كثر اسـتعماله ودوراتـه فـي الكلام حتى أصبح المعني المستفاد من مجموع الكلمتين هـو بعينـه المستفاد من كلمة واحدة ، لأن معني "بـادي بـدي" مبتـدئ فكـان المضاف والمضاف إليه في هذه العبارة قد ذهب معناهمـا الأصـلي وأصبح يفيد معني المفرد وبهذا أشبه بالمركب "خمسة عشر" ونحوه فبني اللفظان وإن لم يضمنا الحرف فهذا البناء لا أصل له في القياس ومع ذلك خفت اللفظية بالبناء وذلك لكثرة الدوران فلقد قال الرضي –

(١) انظر شرح الكافية للرضي ج٢ ص٢٦٨ .

رحمه الله – " أن الكلمة تخف بالبناء لتجرده من ترك التنوين والإعراب"(١).

**وفي القول السابق أربع لغات :**

١- بادي بدي بسكون آخر الكلمتين .
٢- بادي بدا بسكون باء الأولي ، والألف في الثانية .
٣- بادي بدء بسكون باء الأولي والثانية بوزن "سمع" .
٤- بادي بداء بسكون الياء الأولي والثانية بوزن حياء .

**ج- قولهم "لهي أبوك" :**

لقد فسر الإمام علي (ﷺ) هذه العبارة "لهي أبوك" بما يفيد أنه مبني علي الفتح لكثرته في كلامهم وأصل هذه العبارة (لله أبوك) ، لأن الأصل فيه جار ومجرور ، وقدر "لام" التعريف فبقي لاه أبوك كما قال ذو الأصبع العدواني :

لاه ابن عمك لا أفضلت في حسب عني ... ولا أنت ديماني فتخزوني (٢)

فبني لتضمن الحرف لوقوعه موقع الألف الساكنة ورجعت الألف إلي أصلها من الياء لسكون العين (٣).

وبذا تحكم أن كثرة الاستعمال والدوران في الكلام أدت إلي حذف لام الجر من لفظ الجلالة فبني اللفظ لتضمنه الحرف .

**د- "يا ابن أم ويا ابن عم" :**

إذا أردنا أن نعود إلي أصل هذه العبارة فلابد أن نرجع إلي كلام شيخ النحاة سيبويه إذا يقول: "وقالوا يا ابن أم" و "يا ابن عم" فجعلوا ذلك بمنزلة اسم واحد، لأن هذا أكثر في كلامهم من "يا ابن أبي" و "يا غلام غلامي" وقد قالوا "يا ابن أم" و "يا ابن عم" كأنهم جعلوا الأول

(١) شرح الكافية ج٢ ص٨٩ .
(٢) الخزانة ج٧ ص١٨٣ .
(٣) شرح الكافية للرضي ج٢ ص١٢٧

والآخر أسماء ثم أضافوا إلي الياء كقولك"يا أحد عشر أقبل"وإن شئت قلت حذفوا الياء لكثرة هذا في كلامهم" (١).

والتفسير لكلام سيبويه أن فتح أخر "يا ابن أم" و "يا ابن عم" من أن العرب نطقت هذه العبارة بجعلها بمنزلة اسم واحد أي جعلوا "ابنا" و "أما" بمنزلة اسم واحد مركبين فبنيا علي الفتح ففتحه "ابن" ليست نصبا وإنما هي بمنزلة الفتحة في "خمسة عشر" والاسمان ابن أم منادي في محل ضم من حيث كانا كاسم واحد فبني بعد إعراب لكثرة دورانها في لسانهم (٢).

## ٢ـ تعدد النعوت بعد لفظ الجلالة :

إذا تعددت النعوت وكان المنعوت غير محتاج إلي واحد منها للتوضيح أو لغيره فيكون القياس والاطراد أنه يجوز في هذه النعوت جميعها الاتباع للمنعوت، والقطع إلي النصب أو غيره، ويشترط – في الجمع بين الاتباع والقطع – تقدم التابع فهذه كلها محتملة في القياس ، ولكن السماع لم يكن بهذا القياس في قوله عز وجل " بسم الله الرحمن الرحيم " ، فالمعروف والمتبع هنا أن الصفتين – "الرحمن" و "الرحيم" – تتبع إعراب لفظ الجلالة ، مع أن القياس هنا لا يشك أحد في حسنه، كأن يُقرأ: ( الرحمنُ الرحيمُ ) برفع الصفتين جميعا علي المدح، أو يقرأ بنصبهما معا علي المدح أيضا، أو يقرأ برفع الأول ونصب الثاني .

فابن جني يقول: (وما أحسنه ههنا – يريد القطع – وذلك أن الله تعالي إذا وُصف فليس الغرض من ذلك تعريفه بما تتبعه من صفته ، لأنه الاسم الذي لا يعترض شك فيه، فيحتاج إلي وصفة لتخليصه؛ لأنه الاسم الذي لا يُشك فيه، فيحتاج إلي وصفه لتخصيصه؛ بل للثناء

(١) الكتاب ج٢ ص٢١٤ .
(٢) شرح الكافية للرضي ج٢ ص١٢٧ .

عيه سبحانه وتعالي، وإذا كان ثناء فالعدول عن إعراب الأول أولي، وذلك أن إتباعه إعرابه جار في اللفظ مجرى ما يتبع للتخليص والتخصيص ؛ فإذا عُدل به عن إعرابه عُلم أنه للمدح أو الذم – في غير ذلك عز الله وتعالي – فلم يبق فيه هنا إلا المدح[1].

**٣ـ إضافة العدد إلي تمييزه :**

العدد – من "ثلاثة إلي عشرة – يضاف إلي تمييزه من الجموع التي للقلة وهذه الجموع هي : "أفْعِلَة" "أفْعُل" "أفعَال" و "فِعْلَه" والجمعان السالمان لمذكر ومؤنث .

فتقول : "ثلاثة أجمال" و"أربعة أفراخ" و"خمسة أرغفة" و"تسعة غلمة" و"ست مؤمنات" و"سبع سماوات".

ولعله يطرأ عليك سؤال مفادة كيف يصح الإضافة ، والمضاف والمضاف إليه واحد؟ لأنك إذا قلت "ثلاثة أكلب" كانت "الثلاثة" هي "الأكلب" فيكون من إضافة الشيء إلي نفسه .

والجواب عن ذلك : أن الإضافة إنما جازت وصحت ؛ لأن الثاني ليس الأول في كل شيء؛ لأن المضاف عدد والمضاف إليه معدود وبالطبع العدد غير المعدود فجازت الإضافة، فإذا جاء العدد منصوباً كان غير العدد لا محالة [2].

فلو ذهبت لترى أن اللسان العربي قد ترك القياس – وهو أن الشيء لا يضاف إلي نفسه – في الأعداد المضافة إلي المعدودات في أدني العدد ، وفي لفظي مائة وألف وما يتضاعف منهما .

والعلة في ذلك كثرة الدوران في اللسان العربي فاثر تخفيفه ، وكذا في الإضافة تخفيف بترك التنوين والنون من المضاف"[3].

---

(١) الخصائص بتصرف يسير ١/٣٩٨ ، ٣٩٩ .
(٢) انظر ابن يعيش ٦/١٩ .
(٣) انظر شرح الكافية للرضي ١/٢١٨ .

أما إذا نظرت إلي الأعداد المركبة فإنك تجد أنهم يتركون الإضافة فيها لأن بها تركيب ثلاثة أسماء (أربعة – عشر – غلاما).

فإذاً ولي الأعداد المركبة غير المعدود سهلت الإضافة في مثل (أحد عشرك)؛ لأن المتضايفين متغيران [1].

وقد جاء هذا القياس في هذه الأعداد شاذاً " ثلاثة أثواباً " بتنوين "ثلاثة" ونصب أثواباً" علي التمييز ، ولقد ذكروا هذا في الضرورات نحو قول الربيع الفزاري :

إذا عاش الفتى مائتين عاما ∴ فقد ذهب اللذاذة والفتاء [2]

فقال الشاعر "مائتين عاما" ، وكثرة الاستعمال والدوران علي اللسان يقتضي أن تخفف الإضافة بحذف النون فتكون (مِائتَيْ عامٍ) .

## ٤ ـ نصب "غدوة" بعد "لدن" :

من الأسماء التي تلازم الإضافة فيجر ما بعدها لفظاً أو محلاً وهي بمعني أول غاية الزمان أو المكان نحو:"من لدن السماء"ومن لدن زيد

يقول الله تعالي : ﴿ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾[3] .

فـ " لدن " في الآية الكريمة جرت ما بعدها لفظاً بالإضافة أما الجر في المحل فيظهر في قوله تعالي:﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً ﴾[4].

وقول الشاعر القطامي :

صريع غوان راقهن ورقنه ∴ لدن شب حتى شاب سود الذوائب [5]

فقد أضاف الشاعر "لدن" إلي جملة "شب" فهذا هو القياس والأصل في اللسان العربي .

---

(١) انظر المصدر السابق .
(٢) انظر ابن يعيش٦/ ٢١، والتصريح١/ ٢٧٣، الخزانة ٣٧٩/٧ .
(٣) هود ١
(٤) الكهف ٦٥ .
(٥) الأشموني والعيني ٢ / ٢٦٣ والتصريح ٤٦/٢ وشرح كافية للرضي ١٢٣/٢

أما إذا خرجت عن الأصل والقياس فكانت في صورها الآتيـة – لكثرة الاستعمال– إفرادها عن الإضافة لكلمة "غدوة" فتـأتي غـدوة منصوبة منونة علي التمييز، أو تكون مشبهة بمفعول بـه لتشـبيه "لدن" باسم الفاعل في ثبوت نونها تارة وحـذفها أخـرى، أو تـأتي "غدوة" خبراً لكان التي حذفت علي معني: لدن كانت الساعة غدوة.

كذلك جاء عن العرب رفع غدوة بجعلها فاعلاً لـ"كـان" التامـة المضمرة، علي معني لدن كانت غدوة، أو تعرب خبرا لمبتدأ محذوف أي لدن وقت هو غدوة كل هذا لأنها كثيرة الاستعمال والدوران فـي لسانهم، كما أن القياس في "غدوة" منع الصرف للتعريف والتأنيث[1].

لكن العرب غيروها إلي الوجه الخفيف من منع الصـرف كمـا غيروها عن مقتضاها من الإضافة؛ لأن التنوين يحكم علـي الاسـم بالخفة وعدم مشابهة الفعل[2].

كل هذا التغيير الطارئ عليها وتحويلها من القياس إلي الشـذوذ لكثرة الاستعمال ولذلك كان التغيير فيها دون نظائرها ، فـإذا جـاء كلمة مكان غدوة فحكم عليها بالإضافة لعدم الكثرة المقتضية للقياس والأصل. فإذا قلت مثلاً "جئت من لدن بكرة" لابد من إضافة "لدن" إلي "بكرة" .

فلا يصح قطع "لدن" ونصب بكرة كما حدث في "لدن غدوة" وذلك لعدم كثرة "بكرة" في لسانهم[3].

ولذا يقول الأشموني[4]: "فلو عطف علي "غدوة" المنصوبة جاز جر المعطوف مراعاة للأصل والقياس وجاز نصبه مراعاة للفظ .

---

(١) ابن يعيش ٤ / ١٥١ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) المصدر السابق .
(٤) انظر الأشموني ٢٦٣/٢ .

لقد ذكر هذا الأخفش واستبعد ابن مالك نصب المعطوف وقال إنه بعيد القياس، يقصد من وراء ذلك أن القياس هو ما بعد "لدن" مثل غيرها من الظروف .

ومما سمع عن غير القياس نصب "غدوة" بعدها[1].

وبذا أقول إن التغيير الذي أصاب كلمة "غدوة" بعد لدن غير لازم بل يجوز معه العودة إلي القياس والأصل .

وهذا مما يتفق والرأي الذي يفسر أن التغيير يأتي لكثرة الاستعمال ؛ لأن الكلام يكثر في اللسان العربي أولا ثم يعتريه التغيير لهذه الكثرة والدوران في اللسان .

**٥ـ تفضيل بعض الحركات علي بعض أو السكون علي الحركة :**

**أ ـ إسكان لام الأمر :**

اللام في الأمر تفيد معني، وهي من عوامل الجزم في الأفعال، ولذلك تسكن فهي نظير الجر في الأسماء، فهي محمولة علي حرف الجر واللام في "يزيد" و"لزيد"، في الكسر وفتح هذه اللام لغة لبعض العرب [2].

إذا دخلت واو العطف وفاؤه علي اللام شبهت اللام وحرف العطف وحرف المضارعة بعدها بـ"فَعِل" المكسور العين مثل "كتف" فيسكن اللام نحو "فليضرب" و "ليقم" . والنحاة يوجهون هذا بكثرة لام الأمر مع المضارع ، ولكون الواو والفاء صارتا كبعض حروف الكلمة بعدها ، من حيث عدم إمكان انفصالهما ، أو الوقوف عليهما ، لكونهما علي حرف واحد ، وبهذه اللام المسكنة قُرئ في القرآن

---

(١) انظر الصبان ٢/٢٦٣ .

(٢) شرح الكافية للرضي ٢ / ٢٥١ .

الكريم في مثل :﴿ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾[1] وهذا كثير في لسانهم عن نظائره فابن ذكوان قرأ علي الأصل [2] .

فإذا دخلت "ثم" علي اللام في نحو "ثم ليفعل" "شبهت بالواو والفاء قبلها فيسكن اللام، ولقد قرأ الكسائي[3]: ﴿ ثُمَّ لِيَقْطَعْ ﴾[4]، و﴿ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ﴾[5] .

فلقد وردت القراءة بكسر اللام علي الأصل لكثرة الاستعمال سكنت اللام وأن النحاة يصفونه ويجعلونه قليلاً مع (ثم) ؛ لأن "ثم" كلمة ثلاثية يمكن الوقوف عليها ، فلو سكنت ما بعد اللام لكنت إذا وقفت علي "ثم" تبتدئ بساكن وهو لا يمكن "وثم" الداخلة علي لام الأمر قليلة في لسانهم من الواو والفاء قبلها [6] .

**ب- فتح عين الأعلام وحقها أن تكسر وعكسه :**

"موْظَب"[7] و"مَوْهَب"[8] و"مَوْرَق"[9] أعلام جاءت عن العرب فاؤها واواً ومفتوحة العين وهي بوزن مفْعَلْ القياس فيها الكسر نحو "المَوْعِد" و"المَوْرِد"

وجاء عكسه وذلك في " مَعْدِ يكرب " بنوه علي " مَفْعِل " بكسر العين ، وقياسه : الفتح لأنه من معتل اللام " عَدَا " حقه " مَفْعَل "

---

(١) الحج ( ٢٩ ) .
(٢) الإتحاف ٢ / ٢٧٤ .
(٣) السابق ٢ /٢٧٢ .
(٤) الحج ( ١٥ ) .
(٥) الحج ( ٢٩ ) .
(٦) ابن يعيش ٩ / ٢٤ ، وشرح الشافية للرضي ١ / ٤٥ .
(٧) "موظب": أرض موضع مبرك الإبل ببنى سعد (اللسان.وظب) .
(٨) "موهب" : اسم رجل ( " اللسان " وهب ) .
(٩) "مورق" : اسم رجل ( " اللسان " ورق ) .

بالفتح نحو " المَدْعَى " و " المَلْهَى " و " المَشْتَى " . وتخرج هذه الأعلام عن قياس نظائرها ؛ لأن الأعلام كثيرة في لسانهم [1] .

ولقد نقل العلامة البغدادي عن ابن جني تجويز أن يكون ضم شين " شَمس " في شعر تأبط شرا :

إني لمهد من ثناء وقاصد ∴ به لابن عم الصدق شُمس بن مالك[2]

جوز أن يكون هذا الضم من وجه التغيير في الأعلام لكثرة دورها عندهم واستعمالها في لسانهم بكثرة [3] .

**ج ـ إسكان هاء ضمير الغيبة :**

الكلمات العربية لابد من تحرك أولها إلا إذا بدئت بساكن فإننا نلجأ إلي همزة الوصل حيث يستغني عنها في النطق إذا كان قبلهما كلام ، لكن يستثنون من أوائل الكلمات الضميرين : "هُو" ، "هِي" فالأول مضموم الهاء ، والثاني مكسورها فاسكنوا هاءهما إذا وقعت قبلهما اللام وفاء العطف، ويظهر ذلك في قوله تعالي: ﴿ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ ﴾[4].وقوله تعالي:﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ﴾[5] .

ولقد شبهوا "هو" و"هي" مع الحروف قبلها فالأولي شبهوها "بسَرُو" بضم الراء. والثانية "بفَخِذ" بكسر الخاء "فخْذ" بإسكانها.

قال سيبويه : "واعلم أن كل شيء كان أول الكلمة ، وكان متحركاً سوى ألف الوصل ، فإنه إذا كان قبله كلام لم يحذف ، ولم يتغير إلا ما كان من " هو " و " هي " فإن الهاء تسكن إذا كان ما قبلها " واوا أو فاء " أو " لاما " وذلك قولك : وهو ذاهب ، و " لهو خير منك " فهو قائم وكذلك " هي " لما كثرتا في الكلام ، وكانت هذه

(١) ابن يعيش ١٠ /١١٢ ، وخزانة الأدب ١ / ٢٠١ .
(٢) انظر الكتاب ٤ / ٣٥٠ ، والخزانة ١ / ٢٠١ .
(٣) انظر الخزانة ١ / ٢٠١ .
(٤) آية ( ٧٤ ) من البقرة، وانظر الإتحاف ١ / ٣٨٣ ، ٣٨٤ .
(٥) العنكبوت ( ٦٤ ) .

الحروف الأولي لا يلفظ بها إلا مع ما بعدها صارت بمنزلة ما هو من نفس الحروف فأسكنوا ، فعلوا ذلك حيث كثرت في كلامهم ، وصارت تستعمل كثيراً فأسكنت هذه الحروف استخفافاً ، وكثير من العرب يَدعون الهاء في هذه الحروف علي حالها " (١) .

وقد فسر سيبويه هذه الظاهرة بكثرة " هو " و " هي " في كلام العرب ، وبأن حرفي العطف واللام قبل الضميرين لا يُلفظ بهما إلا مع ما بعدها ؛ من حيث كانت علي حرف واحد لا يمكن انفصاله فصار مع ما بعده ، بمنزلة كلمة واحدة .

وسيبويه يجعل التخفيف لهذين الضميرين غير لازم ؛ لأن كثيرا من العرب يتركون الهاء علي حالها من الحركة كما هو قياسها . وزاد غير سيبويه الهمزة قبل الضميرين في مثل : "أهُو عندك ؟ " و أهي فاطمة ؟ .

يقول ابن يعيش : وقالوا في الاستفهام : " أهو فَعَل ؟ " بإسكان الهاء ، ومنه قول الشاعر زياد بن جمل بن سعد بن عميرة:

فقمت للطيف مرتاعا فأرقني ∴ فقلت : أهي سرت أم عادني حلم ؟ (٢)

فإسكان الهاء في الشعر كأنه شبهها بنحو "كتْف" ، فالعلة هنا وهي مخالفة الأصل كثرة الاستعمال ، ولكن الواو والفاء واللام أكثر استعمالا قبل الضميرين لذا كان إسكان الهاء معها أكثر منه مع همزة الاستفهام(٣).

---

(١) الكتاب ٤ / ١٥١ .

(٢) انظر ديوان الحماسة أبي تمام بشرح التبريزى ٢ /١٥٦ ، والجاربردي ١٦٧/١ .

(٣) انظر ابن يعيش ١٣٩/٩ ، ١٤٠ .

ولو كان بدل الواو والفاء، "ثم" لم يحسن إسكان الهاء في الضميرين وقد جاء هنا أكثر في "ثم" ؛ لأنه بني علي أكثر من حرف ، فكأنها منفصلة مما بعدها،ولذا كان أكثر القراء،علي تحريك الهاء من قوله تعالي:﴿ ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾[1] فبه قرأ الكسائي وقالون وأبو جعفر، والباقون بتحريك الهاء علي الأصل [2].

وقرأ بالتخفيف في الضميرين بعد الواو والفاء واللام ووافقهم الحسن واليزيدي[3]، نحو قوله تعالي:﴿ وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ [4]وقوله تعالي: ﴿ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ ﴾[5]، وقوله تعالي: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ [6] .

والخلاصة أن الضميرين هو وهي بعد الحروف اللام والفاء والواو الأصل قبل التسكين والقياس للحركة ، ولأن العرب استعملت هذين الضميرين كثيراً بعد الحروف السابقة فكان التخفيف لكثرة الاستعمال والتغيير هذا ليس واجبا ولكنه جائز .

(١) القصص ( ٦١ ) .
(٢) أنظر الإتحاف ١ /٣٨٤ .
(٣) السابق ١ /٣٨٣ .
(٤) البقرة ( ٢١٦ ) .
(٥) البقرة ( ٧٤ ) .
(٦) آل عمران ( ٦٢ )

### د- يأبى يكسر فيه حرف المضارعة :

القياس في الفعل"أبى" "يأبى" مخالفة عين الماضي وعين المضارع ولكنه شذ عن القياس لفتح عينه في الماضي والمضارع .

والعرب يكسرون حرف المضارعة من الثلاثي إذا كان ماضيه مكسور العين، نحو "تِعْلَمُ" و"نِعْلَم" و"اعْلَم" بكسر ما عدا الياء هذا ما عدا أهل الحجاز .

ولم يكسر العرب الياء في أول المضارع إلا إذا كان فاؤه واوا " يوجل " لاستثقالهم الواو بعد الياء ، فكرهوا قلب الواو ياء من غير كسر ما قبلها ، فأجازوا الكسر مع الياء أيضا لتخفف الكلمة التي كثر استعمالها بقلب الواو ياء[1] .

ولقد كسر العرب حرف الياء في أول " يأبي " للشذوذ في فتح عين مضارعه، وجعلوه لمكسور عين الماضي، وكسر حرف المضارعة .

وعلل لذلك سيبويه بقوله: "وهم مما يغيرون الأكثر في كلامهم، ويجسرون عليه ) [2] .

### هـ-حركة نون ( من ) قبل ( أل) :

إذا التقي ساكنان ولم يكن أولهما مدا فالأصل فيه أن يحرك الأول منهما بالكسر نحو (قاتلتِ الأمة) و(قامتِ الرجال) ويعللون لذلك بأن الكسرة لا تكون إعرابا إلا ومعها التنوين وما يقوم مقامة من الإضافة أو الألف واللام ، وقد تكون الضمة والفتحة إعرابا ولا تنوين معهما ، فإذا اضطررنا إلي تحريك الساكن حركناه بما لا يتوهم أنه إعراب ، وذلك هو الكسر .

---

(١) شرح الشافية للرضي ١ /١٤١ .
(٢) الكتاب ٤ /١١٠ ، ١١١ .

كما أنهم يعللون لذلك أيضا بأن الجزم مختص بالأفعال، فصار نظير الجر في الأسماء، لأنه اختص كل منهما بقبيل من الكلمات، فإذا اضطررنا إلي تحريك الساكن حركناه بحركة نظيره وهي الكسرة[1].

وعلي ذلك فإنك تجد نون من " وهي ساكنة إذا تبعها ساكن نحو (أخذت من ابنك) و(خرجت من المسجد) فيجب علي القياس كسر نونها.

لكن العرب فتحوا نون "من "قبل اللام المعرفة سواء كانت اللام مظهرة أو مدغمة ، في مفرد كانت أو في جمع ، فعطوا ذلك بعدولهم عن القياس الذي هو الكسر ، لأن هذا كثر في كلامهم ، وهو من باب كثرة الاستعمال ويتضح ذلك بالأمثلة "منَ" الرجل" "منَ الله" "منَ المسلمين.

وما فيه الألف واللام كثير في كلامهم وعدلوا إلي الفتح الذي هو أخف عليهم[2].

يقول ابن يعيش: (إن كثرة الاستعمال شطر علة فتح نون "من" ولام "أل" جاء علي القياس بالكسر وهو (إن الله) و(عد الرجل)و(صل ابنك)، فجاءوا بذلك الأصل؛ لأنه لم يكثر في كلامهم كثرة الأول)[3] .

### ـ فتح "أين " و " كيف " :

إن الفتح هنا في هذين للتخفيف من ثقل الكسرة آخر الكلمتين بعد الياء ، ولقد جاء هذا التخفيف من كثرة الاستعمال ، ولقد شبه سيبويه فتح نون "من" قبل "أل" "بأين" و"كيف" "من الحق" "من الخير" كما نقول "كيف حالك؟" "وأين الكتاب؟"[4] .

---

(١) انظر ابن يعيش ٩ / ١٢٧ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) السابق ٩ / ١٣١ .
(٤) الكتاب ٤ / ١٥٤ .

يقول السيوطى: ( إنما بنيت "أين" علي الفتح لكثرة الاستعمال ؛ إذ لو حركت بالكسر علي أصل التقاء الساكنين لإضاف ثقل الكسر إلي ثقل الياء التي قبل الآخر ، وهي مما يكثر استعماله ، فكان يؤدي ذلك إلي كثرة استعمال الثقيل، يبين لك أن كثرة الاستعمال أوجب فتح "أين": أنهم قالوا "جيرِ" فحركوا بالكسر علي أصل التقاء الساكنين، واحتملوا ثقل الكسرة والياء لما كانت قليلة الاستعمال؛ لأنها لا تستعمل إلا في القسم، وهي – مع ذلك – من نادر القسم)[1] فكثرة الدوران واضحة وجلية في فتح نون "أين" مع أن هذا الفتح شاذ؛ لأن الأصل الكسر، لأن نون أين تكسر وكسرها ثقيل بعد الياء وقبل أل والصورة هذه هي القياس؛ لأن العرب لم تستعملها كثيراً بخلاف الفتح فقد استعمله العرب، وكان مخففاً لذلك.

وهنا يقول ابن يعيش – شارحاً معني كثرة " أين " في الاستعمال –: (وأما "أين" من ظروف الأمكنة والغرض به الإيجاز والاختصار، وذلك أن سائلا لو سئل عن مستقر "زيد" فقال: أفي الدار زيد، أو المسجد زيد ؟ – والأمكنة غير منحصرة – لو ذهب يعدد مكانا لقصر عن استيعابها، وطال الأمر عليه، فجاءوا بـ"أين" مشتملاً علي جميع الأمكنة، واقتضي الجواب من أول مرة، ووجب أن تبني علي السكون لوقوعها موقع همزة الاستفهام، إلا إنه التقي في آخره ساكنان ، فحرك النون لاجتماعهما ، وفتح طلبا للخفة ، واستثقالاً للكسرة بعد الياء، فآثروا تخفيفها لكثرة دورها وسعة استعمالها"[2] .

وخلاصة القول : إن " أين " دائرة كثيراً في لغة العرب ، وهي موجزة للمعاني الكثيرة كما مر، وذلك إذا سألك سائل وقال لك "أين

(١) الأشباه والنظائر في النحو ١ /٣٣٢ ، ٣٣٣
(٢) ابن يعيش ٤ / ١٠٤ ، ١٠٥ .

زيد" أمستقر في البيت أمستقر في المسجد، أمستقر في الشارع أمستقر في المصنع أمره [1] .

وأن حق "أين" أن تبني علي السكون ولكنها تفتح للتخلص من ثقل الكسر بعد الباء بما كثر دورة في اللسان العربي ، وكذلك ما قلناه في"أين" تقوله في "كيف"ولقد تحقق التخفيف للطتين الأولي كثرة الاستعمال والثانية الهروب من ثقل الكسر بعد الياء [2].

## ز- ضم ميم " من " في القسم

تعدي"من"فعل القسم المحذوف إلي المقسم به لفظ"ربي"فبعض العرب تقسم بمن بضم "الميم" وجعلوها بمنزلة الواو في القسم ولا يدخلون "من" هذه في غير"ربي"كما لا يدخلون التاء في غير لفظ الجلالة[3].

ولا يضمون في "من" إلا هنا فقط كما لا تدخل الفتحة في "لدن" إلا مع غدوة [4] .

فشبهوا الضم في ميم "من" في القسم بفتح "غدوة" بغير "لدن" فالتغيير الذي وقع وهو الضم في الميم في "من" إنما جاء من كثرة الاستعمال؛ ولأن الضم والميم إنما هما متآخيان؛ لأنهما من مخرج واحد وهو الشفتان .

فالميم في "مِن" الجارة مكسورة في غير القسم ، فلما كانت من هذه مع القسم الكثير الاستعمال جاز مع كسرها ضمها .

### ج- فتح المنادي المستحق للكسر:

المنادي يبني علي الضم إذا كان علما مفرداً ووصف بكلمه "ابن" أو "ابنة" المضافين إلي علم أو كنية ، أو لقب في نحو "يا محمد بن علي" "يا جعفر بن أبي طالب" "يا هند بنت عتبة" .

---

(١) السابق ٤ / ١٠٩ .
(٢) ابن يعيش ٤/١٠٤ ، ١٠٥ .
(٣) الكتاب ٣/٤٩٩ .
(٤) ابن يعيش ٨/١٠٠ .

ومع هذا فان العرب قد أجازت في المنادي في الأمثلة السابقة وجها آخر هو الفتح إتباعاً لنون "ابن" و"ابنة" وهذا الإتباع موغل في الغرابة إيغال هذا المنادي في كثرة الاستعمال .

وتفسر الغرابة بما يلي : إن حق الصفة أن تتبع موصوفها، وهنا قد تبع الموصوف – وهو المنادي – صفته .

والإيغال في كثرة الاستعمال:أن هذه العبارة اجتمع فيها المنادي وهو كثير الاستعمال وكذلك أن كلمتي "ابن وابنة" تأتيان صفة دائما ، لعلم أو صفة لكنية أو للقب[1] .

يقول ابن يعيش : " لأنهم لما أضافوا " ابنا" كأنهم قد أضافوا ما قبله ، ولذلك من شدة اتعقادهما شبه سيبويه حركة الدال من " زيد " بالراء من "امرىء"، فكما أن الراء من " امرىء " تابعة للهمزة،كذلك اتبعوا الدال من " يا زيد بن عمرو"النون من " ابن "؛ لان الصفة والموصوف كالصلة والموصول، والمضاف إلي ذلك: كثرة الاستعمال فقوى الاتحاد ، ولذلك لا يحسن الوقف علي الاسم الأول .

(١) انظر ابن يعيش ٢/٥ .

# مراجع البحث


* القرآن الكريم :
* إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر للشيخ احمد بن محمد البناء (عالم الكتب ) .
* الأشباه والنظائر في النحو للإمام جلال الدين السيوطي (دار الكتب العلمية ، بيروت ) .
* الاقتراح في أصول النحو للإمام جلال الدين السيوطي ( تحقيق الدكتور أحمد محمد قاسم ) .
* البحر المحيط لأبي حيان الأندلسى (دار الفكر للطباعة والنشر،بيروت ).
* تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد للإمام محمد بن مالك ، تحقيق محمد بركات (دار الكاتب العربي للطاعة والنشر )
* التصريح بمضمون التوضيح للشيخ خالد الأزهري(عيسي الحلبي )
* حاشية الشيخ محمد الأمير علي"المغني(دار إحياء الكتب العربية ).
* حاشية الصبان علي شرح الأشموني ( دار إحياء الكتب العربية )
* حاشية الشيخ ياسين العليمى علي التصريح ( عيسي الحلبي )
* خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للشيخ عبد القادر البغدادي ( الخانجى ) .
* الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني تحقيق محمد علي النجار ( دار إحياء الكتاب العربي ) .
* ديوان أبي نواس : شرح الأستاذ علي قاعود ( دار الكتب العلمية ، بيروت )
* ديوان الأعشى ( دار بيروت للطباعة والنشر ) .
* ديوان امريء القيس ( المكتبة الثقافية . بيروت ) .
* ديوان الحماسة ( لأبي تمام . شرح التبريزى ) .
* الروض الأنف للإمام السهيلي ( مكتبة الكليات الأزهرية ).

* شرح شافية ابن الحاجب : للإمام محمد بن الحسن الاستراباذي الرضي (دار الكتب العلمية . بيروت ).
* شرح شواهد الاشموني:للإمام العيني( دار إحياء الكتب العربية ) .
* شرح شواهد الشافية : للشيخ عبد القادر البغدادي (دار الكتب العلمية .بيروت )
* شرح كافية ابن الحاجب : للإمام محمد بن الحسن الاستراباذي الرضي (دار الكتاب العلمية . بيروت ).
* شرح المفصل لابن يعيش (مكتبة المتنبي بالقاهرة ).
* صحيح مسلم (دار إحياء الكتب العربية ).
* فصيح ثعلب : شرح الدكتور عبد المنعم خفاجي .
* كتاب سيبويه : لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، تحقيق عبد السلام هارون ( الخانجي بالقاهرة ) .
* الكشاف : لجار الله محمود بن عمر الزمخشرى .
* لسان العرب : لابن منظور ( دار المعارف ) .
* مجمع الأمثال : لابي الفضل احمد بن المداني ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم (عيسي الحلبي ).
* معجم البلدان لياقوت الحموي ( دار صادر ، بيروت ) .
* مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : للإمام جمال الدين بن هشام الأنصاري (دار إحياء الكتب العربية ).
* المقتضب : لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ( المجلس الأعلي للشئون الإسلامية ).
* منهج السالك إلي ألفية ابن مالك : للشيخ الأشموني (دار إحياء الكتب العربية ).
* الممتع في التصريف لابن عصفور الإشبيلى ( دار الآفاق الجديدة بيروت ) .